والنساء عن طريق سؤال الرجال غير المحارم النساء الأمتعة من وراء حجاب . هذا فى حال كون النساء فى أماكنهن . فإذا خرجن من هذه الأماكن أدنين عليهن من جلابيبهن ما يسمى بالحجاب ، على نحو ما بينت الآية الكريمة التاسعة والخمسون من هذه السورة الكريمة . وفيما يتصل بمن يحق للمرأة أن تقابلهم دون حجاب وأن تبدى لهم زينتها فقد بينت كل ذلك الآية الكريمة الخامسة والخمسون من هذه السورة الكريمة والآية الكريمة الحادية والثلاثون من سورة النور الكريمة .

٦ – لقد بينت الآية الكريمة الحكمة من فرض هذه الآداب وسؤال رجال المسلمين غير المحارم النساء الأمتعة من وراء حجاب . قال تعالى : ﴿ **ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾ .

٧ – لقد بينت الآية الكريمة منزلة المصطفى ﷺ عند بارئه . إنّ ربّ العزّة قد غار لنساء المصطفى ﷺ على جهة الخصوص . ولنساء هذه الأمة على جهة العموم . إنّه ما كان يصح لأحد من المنتمين إلى هذه الأمة المسلمة لله ربّ العالمين أن يؤذى المصطفى ﷺ فى بيته عن طريق إزعاجه بالتطفل على الطعام ، والمجىء قبل نضجه واستوائه ، والمكث بعد تناوله ، أو فى أهل بيته حتى بأن يفكر واحد من المسلمين أو أكثر من واحد فى أن يتزوج إحدى زوجات المصطفى ﷺ من بعده أبدا . إنّ مجرد التفكير فى هذا الأمر ممنوع . ومع أن القول فى الآية الكريمة « **من بعده أبدا** » يشمل كل من فارقها المصطفى ﷺ فى أى صورة من الصور فقد عرفنا أن الله سبحانه وتعالى قد قصره عليهن وقصرهن عليه . فاتجه السياق إلى وفاته ﷺ . إنّ ربّ العزة ، إكراما منه لحبيبه المصطفى ، ليخص المصطفى ﷺ بهذه الخصوصية ، فلا تحل أى من زوجاته ﷺ بعد وفاته لأى من المسلمين . ألسن أمهات المؤمنين ؟ بلى . إذن كيف يحلّ للمرء أن ينكح أمه ﴿ **إن ذلكم كان عند الله عظيما** ﴾ .

ونودّ إثر هذه النظرة الأولى للآية الكريمة أن نتحوّل إلى النظرة الثانية التى يصح أن تكون وفق ترتيب المسائل فى النظرة الأولى .

لقد اعتاد بعض المسلمين أن يلجوا بيوت النبى ﷺ وبيوت إخوانهم المسلمين كذلك . دون سابق دعوة من أصحاب البيت وربما دون استئذان من قبل هؤلاء

الواجين ، متحينين أنسب الأوقات التى يوشك أن ينضج فيها الطعام ، كى يتحقق لهم تناوله . وإنّ الإسلام الدّين الذى رضيه الله تعالى لعباده يبين للمسلمين آداب الطعام . الدّعوة إليه وتلبية الدّاعى . إنّ الإسلام حريص على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين أفراد المجتمع الإسلامى . ومن مظاهر ذلك تبادل الزيارات والدعوات إلى الطعام . وبما أنّ للعرب عادات بغيضة جاهلية ظلت آثارها عالقة حتى بعد ظهور الإسلام الحنيف بعدة سنوات ، وبما أن الإسلام حريص على تقوية أواصر المحبة والتعاون وإزالة كل الأسباب التى تقضى عليها أو تنحرف بها عن غايتها النبيلة ، فقد حرص الإسلام ، كعادته ، على القضاء على تلك العادات البغيضة بشأن الزيارات والدّعوات إلى الطعام حيث قد بين آداب كل ذلك .

إنّ الإسلام يحث على الدّعوات وتلبيتها وعلى الهدايا وقبولها لأنّ كل ذلك مما يشدّ القلوب إلى بعضها ويربط بينها برباط المودة والمحبة فى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إذا دعا أحدكم أخاه فليجبه عرسا كان أو غيره . وأصله فى الصحيحين وفى الصحيح أيضاً عن رسول الله ﷺ : لو دعيت إلى ذراع لأجبت ، ولو أهدى إلى كراع لقبلت[1] وإنّ القول فى الآية الكريمة : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام﴾** يعتبر نصا صريحا فى مخاطبة المؤمنين ، ثمرة المنهج الإسلامى الناضجة اليانعة بأن عليهم ألاّ يدخلوا بيوت النبى ﷺ . ويقاس على ذلك بيوت المؤمنين ، إلاّ أن يؤذن لهم إلى تناول الطعام . ومعروف أنّ فى ذكر الطعام دليلا على أنّ ثمّة دعوة من قبل صاحب المنزل ، وأنّ هذه الدّعوة إلى طعام . فهل يعنى مجرد الدعوة الإذن بأن يلج المدعو منزل الدّاعى فى الوقت الذى يشاء وفى الحال التى يهواها دون استئناس من سكان المنزل واستئذان ؟ لا بطبيعة الحال . إنّ الإسلام ليبين آداب دخول المسلم المنزل الذى يسكنه سواه ، وقد بينت سورة النور تلك الآداب فى قوله تعالى[2] : **﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإنّ لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم . وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم . والله بما تعملون**

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٠٥/٣

(٢) الآية ٢٧ ، ٢٨

عليم﴾ . والاستئناس الاستئذان الذى يذهب به التوحش . يقول الفيروز ابادى[1] : « والأنس بالضم وبالتحريك والأنسة محرّكة ضدّ الوحشة . وقد أنس به مثلثه النون .. وآنسه ضدّ أوحشه والشيء أبصره كأنّسه تأنيسا فيهما ، وعلمه وأحس به . والصوت سمعه ... واستأنس ذهب توحشه » .

وبهذا يتبين أن الاستئناس بمعنى طلب الأنس والألفة عن طريق الإشعار بالمجيء بواسطة الصوت غالبا . وإن نص الآية الكريمة على السلام الذى هو تحية الإسلام ، دليل على أنّ للصوت دوره فى الاستئناس وكل الدور فى السلام . ولا يكفى بطبيعة الحال الاستئناس والسلام دون الاستئذان والحصول على الإذن . وقد قال تعالى : ﴿**وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم**﴾ إنّه على الرّغم من تقديم الدعوة وتحديد موعدها ، فإن مجيء المدعوّ فى الوقت الذى ليس فيه الرّجل صاحب الدّعوة فى المنزل ، وعدم استعداد أهل البيت لسبب من الأسباب للإذن له بالدخول فى حالة غياب الرّجل الدّاعى أو الرجال ، فالمطلوب من المدعوّ ألاّ يحرج أهل البيت بإرغامهن على الإذن له بالدّخول بحجة أنّه مدعوّ فى ذلك الوقت . بل إنّ المدعوّ إذا قال له النساء ارجع ، هكذا بصريح العبارة ، حتى يأتى صاحب الدّار وصاحب الدّعوة ، عليه أن يرجع ، بمعنى أن يعود أدراجه وعلى حافرته ، أى من ذات الطريق الذى جاء منه ، حتى الوقت الذى يعود فيه صاحب الدّار ويأتى المدعو بعد ذلك ويأخذ الإذن بالدّخول من الدّاعى . هذه هى آداب الإسلام يبينها القرآن الكريم بصريح العبارة آيات تتلى كى يرفع عن المسلمين الحرج ، لأنّ الإنسان قد لا يجد فى نفسه الجراءة على أن يقول ما يتمنى ويعتقد أنّه الصواب ، فإن الحياء غالب . فهذا المصطفى ﷺ خير خلق الله تعالى كلهم ، ذو الخلق العظيم ، يغلبه الحياء،وتشاء العناية الإلهية أن تنطق بما لم يستطع أن ينطق به وأن تفصح عما تمنى أن يقال ويعلم كى يعمل به . قال تعالى :﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه**﴾ وإن بيوت المسلمين لتقاس على بيته ﷺ باعتباره الأسوة الحسنة . فلا يصح تحين وقت الطعام وفرض الدّعوة على الدّاعين . يقول ابن كثير[2] : « وهذا دليل على تحريم التطفل وهو الذى تسميه العرب

---

(١) القاموس « أنس »

(٢) تفسير ابن كثير ٥٠٥/٣

الضيفن . وقد صنف الخطيب البغدادى فى ذلك كتاباً فى ذم الطفيليين ، وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها » وإنّ أدب الإسلام كما تبين أن يكون ثمّة دعوة فتلبية فاستئناس فاستئذان فحصول على إذن . « قال ابن العربى : وتقدير الكلام : ولكن إذا دعيتم وأذن لكم فى الدخول فادخلوا . وإلاّ فنفس الدعوة لا تكون إذنا كافيا فى الدخول . والفاء فى جواب إذا لازمة لما فيها من معانى المجازاة »[1] .

وهب أنّ ثمة دعوة وحصولا على إذن بالولوج ، فهل من حق المدعو أن يطلب الإذن فى كلّ وقت من صاحب الدّعوة أو أصحابها ؟ لا . إنّ الإسلام ليراعى أحوال الدّاعين الذين يكونون عادة منهمكين فى القيام بشئون الوليمة وليس لديهم شىء من الوقت أو الجهد كى يوجهاهما إلى أولئك الذين يأتون قبل نضج الطعام بوقت طويل . وقدعبرت الآية الكريمة عن نهيها المدعوين الحضور قبل وقت تناول الطعام فى أوضح أسلوب وأقواه حيث إنها قد ركزت على الطعام الذى مِنْ أجله يكون الحضور . إنّ هذا الطعام ليس مهيئا بعد لتناوله وإنّ الدّاعين منهمكون فى إعداده وإعداد مستلزماته فلا ينبغى للمدعوّ أن يحضر إلى مكان الوليمة بينما الطعام لايزال فوق النار قال تعالى : ﴿ **إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا** ﴾ إناه أى غير منتظرين إدراكه وبلاغه[2] مجاهد : إناه قال : متحينين نضجه[3] قتادة : غير ناظرين إناه قال : غير متحينين طعامه[4] وقيل : أى غير منتظرين وقت نضجه[5] ونصب غير فى قوله : غير ناظرين إناه على الحال من الكاف والميم فى قوله : إلاّ أن يؤذن لكم . لأنّ الكاف والميم معرفة وغير نكرة . وهى من صفة الكاف والميم[6] أى لا تدخلوا فى هذا الحال[7] ويقول الزّمخشرى[8] : « أن يؤذن لكم فى معنى الظرف . تقديره وقت أن يؤذن لكم . غير

---

(١) تفسير القرطبى ص ٥٣٠٨
(٢) تفسير الطبرى ٢٥/٢٢
(٣) تفسير الطبرى ٢٥/٢٢
(٤) تفسير الطبرى ٢٥/٢٢
(٥) تفسير القرطبى ٥٣٠٨ وانظر البحر المحيط ٢٤٦/٧
(٦) تفسير الطبرى ٢٥/٢٢
(٧) تفسير القرطبى ٥٣٠٥
(٨) الكشاف ٥٤٧/٢

ناظرين حال من لا تدخلوا . وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً . كأنه قيل : لا تدخلوا بيوت النبى ﷺ إلاّ وقت الإذن ولا تدخلوها إلاّ غير ناظرين . وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه » . على أن أبا حيّان يرى أن العامل محذوف يقول[1] : « ومعنى غير ناظرين فحال . والعامل فيه محذوف تقديره ادخلوا بالإذن غير ناظرين » « قال ابن عطية : وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء إلى الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه . وكذلك إذا فرغوا منه جلسوا كذلك . فنهى الله المؤمنين عن أمثال ذلك فى بيت النبى ﷺ ودخل فى النهى سائر المؤمنين والتزم الناس أدب الله تعالى لهم فى ذلك فمنعهم من الدخول إلاّ بإذن عند الأكل لا قبله لانتظار نضح الطعام »[2] ومعنى القول : فإذا طعمتم فانتشروا : فإذا فرغتم من الذى دعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل وانتشروا فى الأرض[3] .

ولعل قائلا يقول : إنّ الآية الكريمة طلبت منا بعد أن نتناول طعامنا أن ننتشر فوراً فى الأرض لأغراضنا الدّينية والدّنيوية . لأنّه ليس ثمّة مبرر للبقاء بعد الطعام من حديث أو سمر . أمّا إذا كان ثمّة ذلك الحديث المفيد والسمر الممتع الذى نأنس به جميعاً فلا مانع من البقاء ، بل الأفضل البقاء لأن هذا النوع من الكلام ممّا يدخل السرور على الأنفس ، وهو الهدف الذى قصده أهل الوليمة من صنعها . وإنّ الآية الكريمة لترفض حتما هذا الهدف أو السبب فى آن واحد فتنهى المسلمين لله ربّ العالمين ، بعد تناول الطعام من إيناس بعضهم بعضا بالحديث . يقول الطبرى[4] : « ولا مستأنسين لحديث ، ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناسا من بعضكم لبعض به » . وهو مجرور معطوف على ناظرين . وقيل : هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين » واللام فى لحديث : إمّا لام العلة . نهوا أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدّث به . أو اللام المقوية لطلب اسم الفاعل للمفعول فنهوا أن يستأنسوا حديث أهل البيت[5] .

---

(١) البحر المحيط ٢٤٦/٧
(٢) تفسير القرطبى ص ٥٣٠٧
(٣) تفسير ابن كثير ٥٠٥/٣
(٤) تفسير الطبرى ٢٦/٢٢
(٥) البحر المحيط ٢٤٧/٧

وتنص الآية الكريمة فوراً على علة تلك النواهى ، ابتداءً بالتطفل وانتهاء بالاستئناس بالحديث . قال تعالى : ﴿ **إنّ ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق** ﴾ ومع أن الأحاديث الواردة فى أسباب نزول الآية الكريمة تنص على أولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ **إنّ ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم** ﴾[1] فإنّ الآية الكريمة كما رأينا تعرض لعدد من المسائل المتصلة بهذا السبب المعين ، مظهراً من مظاهر الشمول الذى تميز به منهج التربية القرآنية فى تصديه للقضية من جوانبها المختلفة وتقليبها على أوجهها المتعددة ، خاصة وقد عرفنا من الأحاديث أنّ القوم قد دعوا حتى لم يبق أحد أن يدعى فأمر المصطفى ﷺ بأن يرفع الطعام[2] ولكن بما أنّ المناسبة مواتية لمعالجة المسألة من جوانبها المتعددة ، والحديدة حامية قابلة لأن يؤثر فيها الطرق والتشكيل والتلوين ، فإنّ الآية الكريمة تعالج المسألة من جذورها ، وتبين فيها وجه الحق من مبدئها إلى منتهاها كما رأينا .

وبتدبرنا لسلسلة الأعمال التى كان يقوم بها بعض العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام حتى نزول الآيات الكريمات فى هذا الشأن ، يتبين أنها عبارة عن سلسلة من الأمور الحرجة التى يمر بها صاحب المنزل . إنّه من الجائز ألاّ تكون ظروفه مواتية لاستقبال ضيف واحد فضلا عما وراء هذا الضيف الواحد . فما هو العمل الذى يمكن أن يقوم به من فوجىء بهذا النوع من الضيوف . إنّه يجب أن يقوم ولو على مضض ، بما يجب عليه تجاه هؤلاء الضيوف الذين قصدوه فى بيته دون سواه . وما الذى يستطيع أن يفعل غير ذلك ؟ وما الذى يستطيع أن يظهر سوى الابتسامات ولو كانت مصطنعة وألفاظ المجاملات وإن كانت متكلفة ؟ وقد يأتى هذا الضيفن فى وقت يكون فيه الطعام على النار . ومن الجائز أن يكون هذا الطعام قد هىء لأفراد بأعيانهم ليس فيهم بطبيعة الحال ذلك الضيف الذى لا يسمح الكرم بأن يقدم له أقل شىء ، بل من الجائز ألاّ يسمح الكرم والأريحية بأن يقدم له ذلك النوع من الطعام أو ذلك النوع من الطعام وحده على الرّغم من قول المعرى[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٠٥/٣

(٢) صحيح البخارى ١٤٩/٦

(٣) اللزومية الرّابعة والثلاثون البيتان ٢٤ ، ٢٥ اللزوميات ٢١٧/١

إذا الضيف جاءك فابسم له وقدّم إليه وشيك القرى
ولا تحقر المزدرى فى العيون فكم نفع الهين المزدرى

إن كل ذلك معناه أن البرنامج الذى وضعه أرباب البيت سينقلب ر أسا على عقب . وفى ذلك من المشقة الجثمانية والنفسية ما فيه . إنّ القرآن الكريم يقضى على كلّ هذه الاحتمالات السيئة بالنهى عن دخول بيت النبى ﷺ إلاّ إثر دعوة منه عليه الصلاة والسلام . واستئناس واستئذان وفى وقت مناسب والحصول على الإذن . وإنّ أمته ﷺ تبع له فى ذلك . وبذلك رفع الله تعالى الحرج عن حبيبه المصطفى ﷺ ذى الحياء الذى هو خلق الإسلام العظيم . كما بين القرآن الكريم ما ينبغى مراعاته أثناء تلبية الدّعوة للطعام حتى الانصراف المباشر . فلا حضور قبل نضج الطعام ولا بقاء بعد تناوله . وبذلك رفع الله تعالى عن حبيبه المصطفى ﷺ وعن أمتّه الحرج بشأن الذين اعتادوا من قبل الحضور قبل نضج الطعام فيسببون عبئا إضافيا إلى أرباب الوليمة رجالاً ونساءاً وبشأن الذين اعتادوا البقاء بعد تناول الطعام فيسببون كذلك عبئا آخر إلى أرباب الوليمة رجالاً ونساءً . هل يجرؤ أى صاحب منزل على أن يطلب من الطفيلى أو المستأنس بالحديث بعد تناول الطعام أن يغادر المنزل ؟ وهل يجرؤ على أن يطلب من المتعجل الحضور أن يتأخر والمستأنس ألاّ يستأنس وغير المستأذن أن يستأذن ؟ إنّ كل هذه الأنواع من الحرج قد رفعها القرآن الكريم عن العباد ممثّلةً فى شخص المصطفى ﷺ الذى أنزل الله تعالى عليه قرآناً يتلى متضمنا آداب الوليمة . قال تعالى : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث،إنّ ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق** ﴾

« إنّ ذلكم كان يؤذى النبى يقول : إنّ دخولكم بيوت النبى من غير أن يؤذن لكم وجلوسكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذى دعيتم له كان يؤذى النبى فيستحى منكم أن يخرجكم منها إذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام ، أو يمنعكم من الدّخول إذا دخلتم بغير إذن مع كراهيته لذلك منكم »[1] لابد فى قوله فيستحى منكم مِنْ تقدير المضاف أى من إخراجكم ، بدليل

---

(١) تفسير الطبرى ٢٢/٢٨

قوله : والله لا يستحيى من الحق . يعنى أنّ إخراجكم حق ما ينبغى أن يستحيا منه[1] ويقول أبو حيّان[2] : فيستحى منكم أى من أنها ضكم من البيوت أو من إخراجكم منها بدليل قوله : والله لا يستحى من الحق ... ولما كان الحياء مما يمنع الحيى من بعض الأفعال قيل : لا تستحى من الحق بمعنى لا يمتنع . وجاء ذلك على سبيل المقابلة لقوله : فيستحى منكم . وعن عائشة وابن عباس : حسبك فى الثقلاء أن الله لم يحتملهم .. وقرأت فرقة فيستحى بكسر الحاء مضارع استحا وهى لغة بنى تميم . « والله لا يستحى من الحق ، أى لا يمتنع من بيانه وإظهاره »[3] .

ووضح أنّ حديث الآية الكريمة عن الدّاعين والمدعوين من زاوية إمكان اقتصار الوالجين للمنازل من الرّجال فى تعاملهم مع الرّجال . وقد تبينا آداب الإسلام فى الدّعوات وأنّ من أهم ما راعاه الإسلام وأخذه فى الاعتبار صون الأسر من أن يمس عرض أى منها بأدنى خدش . فهذه هى الحكمة من الاستئناس والاستئذان . فما العمل حينما يكون الطرف الآخر من الجنس الآخر ، وامرأة أو مجموعة من النسوة ؟ إنّ الهدف السابق ذاته هو الذى يؤخذ فى الاعتبار بل بدرجة أقوى ، لأن المرأة الآن طرف رئيسى بينما كانت من ذى قبل طارئا عارضا . وهنا نبين حكمة الإسلام الجليلة حينما يسدّ كل المنافذ التى يمكن للشرور أن تتسرب منها وتتسلل خلالها . إنّ المرأة الآن . ممثلة فى زوجات المصطفى ﷺ هى التى يسألها الرّجال متاعا ، والمتاع عام فى ما يمكن أن يطلب على عرف السكنى والمجاورة من المواعين وسائر المرافق للدّين والدّنيا[4] إن الإسلام يأمر الرّجال فى هذه الحال ألاّ يسألوا النساء متاعا إلاّ من وراء حجاب ، أى من وراء ستر بينكم وبينهن ولا تدخلوا عليهن بيوتهن[5] .

إنّ ربّ العزة يريد أن يذهب الرّجس عن آل البيت وأن يطهرهم تطهيراً ، وبما أن المرأة بطبيعتها عورة . ويريد الإسلام الحنيف لها أن تكون فى أسمى درجات الطهر والكرامة والتقدير . فإنّه يبين الحدود التى ينبغى أن يلتزمها الرّجال فى معاملاتهم لجنس

---

(١) الكشاف ٥٤٧/٢ وانظر البحر المحيط ٢٤٧/٧
(٢) البحر المحيط ٢٤٧/٧
(٣) تفسير القرطبى ص ٥٣٠٩
(٤) البحر المحيط ٢٤٧/٧ وتفسير القرطبى ٥٣٠٩
(٥) تفسير الطبرى ٢٨/٢٢

المرأة ممثلة فى نساء المصطفى ﷺ . إنّ الإسلام يريد للجميع أن يكون فى دائرة الأمان . وحينما كانت المعاملات فى الولائم تدور بين الرّجال غالبا ، نبّه الإسلام إلى آداب الزّيارة والدّعوة مراعاة لشعور الفريقين وصونا للأعراض . وحينما كانت المرأة طرفا آخر وضع الإسلام القواعد الكفيلة فى حال اتباعها والتمسك بها بتحاشى كل الشرور التى من الجائز أن تحصل حينما يكون ثمّة التقاء بين امرأة ورجل غير زوج ولا محرم . إنّ الإسلام يسدّ كل المنافذ التى يمكن أن يتسلل منها الشيطان الرجيم لتسهيل سبل الغَواية بين الرّجال والنساء . وبما أن كل المنافذ التى يمكن للشرور أن تتسرب منها قد أوصدت ، فذلك معناه أن كل الأسر بفضل من الله تعالى وعون ، ستكون هادئة مستقرة ، قد قرّت أعين أفرادها واطمأنت قلوبهم واستقرت نفوسهم . لأن من كان عفيفا يجد فى هذه التعاليم منتهى ما يتمنى من صون عرضه وأعراض المسلمين . لأنّه وهو ذو النفس الحرّة الأبية ، يعتبر كل امرأة مسلمة لله ربّ العالمين أمّا له إن كانت تكبره ، أو أختا أو بنتا . ومن هو الأبى النفس الحى الضمير المسلم لله ربّ العالمين ، الذى يرضيه أن يدنس شرف أمه أو أخته أو ابنته ؟ ومن كان غير عفيف . وبالتالى هو لا يفهم معنى تنزيل المرأة المسلمة لله ربّ العالمين منه منزلة الأم أو البنت أو الأخت أو الزوج ، فإنّ الإسلام يوصد كل أبواب الغَواية أمام هذا الميت الضمير البليد الإحساس ، المتعفن النفس . إنّ هذا المنهج الذى رسمه القرآن الكريم ، والذى يحتم على الرّجال ، حينما يسألون النساء أمراً ضروريا إيجابياً مفيدا ، هو الآنية وما فى حكمها ، التى ينتفع بها لكافة الأغراض ، بأن يتم ذلك السؤال من وراء ستر حينما يطبق بدقة وإخلاص ، فإنه سيحقق بعون الله تعالى الهدف الذى نصت عليه الآية الكريمة : ﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ .

إنّ هذه الطريقة فى السؤال بأن يكون من وراء حجاب ، أطهر لقلوب الرّجال الذين يميلون ميلا فطريا إلى النساء وأطهر لقلوب النساء اللاّتى يملن ميلا فطريا إلى الرّجال . وإن الدّين الحنيف إنما يريد أن يوصد كل السبل التى تؤدى إلى الميل غير المشروع ، لأن ذلك سيكون حتما على حساب الميل المشروع من قبل كل من الطرفين فى هيئة الزواج الذى حث عليه الإسلام وأوصى بأن تسهل فى سبيله كلّ الوسائل والسبل ، لأنّ الزواج هو الطريق الصحيح لإنشاء الأسر الطيبة الطاهرة التى تعتبر نواة المجتمع المسلم الطيب الطاهر والأمة الإسلامية الطيبة الطاهرة التى أراد الله

تعالى لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

وقد بينت هذه السورة الكريمة الطريقة الكريمة التى يتم فيها جواب المرأة المسلمة التى يسألها من وراء حجاب الرّجل . جاء فى الحديث عن المطلوب من نساء المصطفى ﷺ فى مخاطبتهن للرجال ، وهنّ أسوة حسنة للمسلمات لله ربّ العالمين قوله تعالى[1] : ﴿ **يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا** ﴾ .

وأنت بتدبرك لواقع العالم الإسلامى تستطيع أن تتبين مدى ابتعاد المسلمين عن تطبيق المنهج الإسلامى من الدّرك والانحطاط الذى نجد معه من النساء المسلمات من تقف الواحدة منهن شبه عارية على شواطى البحار والمسابح دون شعور بأدنى حرج . بل لعل منهن من تكاد تطير فرحا بهذا العرى الذى تعتبره من أكبر المكاسب التى استطاعت حواء انتزاعها،وأنت بتدبرك للفساد الخلقى الذى عم العالم الإسلامى تستطيع أن تفهم بداهة أنّه بسبب الابتعاد عن تعاليم الإسلام ، تعاليم القرآن الكريم وتعاليم خاتم الأنبياء والمرسلين . وليس بخاف أنّ هذا الوضع المتردى الذى انتهت إليه المرأة المسلمة من حيث الزّى مثلا ، ليس مجرد استبدال زى بآخر وليس مجرد استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير ، إنما المسألة مسألة تدحرج لقيمة الخلق أو الحق عن مكانهما الطبيعى الذى وضعهما الإسلام فيه ، والذى صبغ الأمة الإسلامية بصبغته فى كل الأمور ، لأن الإسلام يعنى بالحق والحقيقة والفضيلة ، ويقدم النفع على ما يسمى بالجمال الذى لايهمله الإسلام ولا يغفله ولا ينكره ولكنه فى الوقت نفسه لا يعطيه فوق ما يستحق ، فضلا عن أن يقدمه ويفضله كما فعلت وتفعل أمم الجاهلية القديمة والحديثة ، فى الشرق والغرب على السواء . وإنّ هذه المسألة بحاجة منا إلى بسط القول بشأنها ويكون ذلك إن شاء الله تعالى مستقبلا وتحت عنوان « بين الحقيقة والجمال » .

والآية الكريمة تعتبر الهدف وتبين الحكمة من وضع هذه القيود الأدبية حماية للأخلاق التى يعتبر وجودها بمفهومها الصحيح ، رمزاً لبقاء الأمة ، وذهابها دليلا على ذهابها : ﴿ **ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾ ويلاحظ أن الآية الكريمة تنزل الرّجل

---

(١) سورة الأحزاب ٣٢

منزل السائل ، لأنّ العادة جرت أنّ الرّجل عموما هو الذى يسعى وراء المرأة ، وهو الذى لديه فى العادة القدرة على القيام بالدور الإيجابى . كما يلاحظ أن الآية الكريمة فى وضعها هذه الآداب المنطلقة من بيت النبوة إلى كل بيت ، يتحقق فيها التدرج من البسيط إلى المركب . حتى إذا كانت هذه الجزئية الكريمة : ﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله** ﴾. استطعنا أن نتبين فيها قدرتها على شمول كل الأمور المرغوب عنها سابقا ، مع احتمال إضافة جديد يتسع له الإيذاء . وهذه الأمور المرغوب عنها التطفل والدخول دون استئذان والحضور قبل نضج الطعام والمكث بعد تناوله وسؤال النساء متاعا دون حجاب إنّ كل هذه الأمور مما يتأذى به المصطفى ﷺ وكل مسلم غيور ، خاصة وأنه من الجائز أن يكون بعض الدّاخلين للبيوت غير طاهرى الباطن وسيئى النوايا . وهذا هو الجديد الذى يصح أن تشمله الجزئية الكريمة وتومىء إليه . وإذا كانت الآية الكريمة قد أشارت إليه ﷺ فى موضعين بالنبى « **بيوت النبى** » « **إنّ ذلكم يؤذى النبى** » فإنّ هذه الجزئية الكريمة قد نصت على الرّسالة : « **ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله** » والمعروف أنّ هذه السورة الكريمة . قد جمعت فى أكثر من آية بين كونه ﷺ نبيا ورسولا[1] ومعروف أن كل رسول نبى . وليس كل نبى رسولاً . وكأن هاتين الصفتين المتدرجتين إلى الأعلى فى حقه ﷺ ، النبوة والرّسالة تتدرجان مع اتجاه المعانى من البسيط إلى المركب من العميق إلى الأعمق .

وبما أنه من الجائز أن بعض الذين تصل أعينهم ، تعرضا أو قصداً إلى أهل البيت ، غير سيئى النية أو القصد ، ولكنه يمنى نفسه بأنه ربما صح له مستقبلا أن يتزوج من يتوفى عنها زوجها مثلا أو يفارقها . ومعروف أن مثل هذه الأمانى ليست مستبعدة من البعض خاصة حينما يكون الزوج كبير السن وبما أنّ أمثال هذه المعانى ليست بمنأى عن ذهن الزوج نفسه ، وهى مما تتأذى به النفس ، وبما أنّ حديث الآية الكريمة فى الجزئية السابقة قد صرح بأنه لا يصح للمسلمين أن يؤذوا رسول الله ﷺ حيّا ، فإنّ الجزئية الكريمة التالية تصرح بأنه لا يصح أن يؤذى رسول الله ﷺ ميتا عن طريق زواج إحدى زوجاته فقد خص ربّ العزة المصطفى ﷺ فى

---

(١) الآية ٤٠ ، ٤٥

حياته الزّوجية بالعديد من الخصائص التى عرفنا . وها نحن أولاء أمام خصّيّة أخرى له ﷺ بأن زوجاته عليه الصّلاة والسّلام ، لا يحلّ لأحد أن يتزوج إحداهن لأنهن أمهات المؤمنين ، كما صرحت بذلك هذه السورة الكريمة . وكيف يتزوج المرء أمّه !! إنّ منزلة الأمومة لهن رضوان الله تعالى عليهن أجمعين بالنسبة لرجال الأمة مستمرة إلى يلحقن كلهن بالرفيق الأعلى . ثم إنّ هنالك رسالة سامية قد خص الله تعالى بها أزواجه ﷺ فى حياته وبعد وفاته ، وهى تبليغ هذا الدين إلى عباد الله تعالى التى ينبغى أن يتفرغن لها . والمعروف أنّ زهاء ثلث هذا الدّين إنّما وصلنا عن طريق زوجاته ﷺ . وفوق كل ذلك فزوجاته ﷺ فى الدّنيا هن زوجاته فى الآخرة ﷺ .

وهكذا يتبين أنّ ثمّة تدرجا فى هاتين الجزئيتين : ﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا** ﴾ فنحن مثلا بصدد تدرج من إيذاء عام إلى إيذاء خاص[1] إنّ الإيذاء الذى أشارت إليه الجزئية الأولى شامل لكل الأنواع التى نصت عليها الآية الكريمة . ومنها الإيذاء الذى يحصل من وقوع البصر على الأهل . وهذا البصر كما أنّه يصح أن يكون بريئا ، هو يصح أن يكون زانيا . وقد تحوّلت الجزئية التالية من الإيذاء سلبا إلى الإيذاء إيجابا . فكما نفت من قبل كل أنواع الإيذاء فى حياته ﷺ . ويكفى أننا بصدد أهل البيت الذين أذهب الله تعالى عنهم الرّجس وطهرهم تطهيرا إلى نفى الإيذاء إيجابا فى صورته الوحيدة الممكنة وهى نكاح أزواجه ﷺ من بعده . بل إنّ هذا النفى للإيذاء لا يأتى فقط فى صورته القوية المكتسبة من لفظة أبدا ، التى تفيد النفى القاطع ، إنما تردف ذلك بتبيين أنّ ذلك الزواج بمثابة الذنب العظيم . قال تعالى : ﴿ **إنّ ذلكم كان عند الله عظيما** ﴾ يقول ابن كثير[2] : « أجمع العلماء قاطبة على أنّ من توفى عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنّه يحرم على غيره تزوّجها من بعده لأنهن أزواجه فى الدّنيا والآخرة وأمّهات المؤمنين – كما تقدم – واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها فى حياته ، هل يحل لغيره أن يتزوجها ؟ على قولين مأخذهما هل دخلت هذه فى عموم قوله : من بعده أم لا . فأمّا من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فما نعلم فى حلها لغيره والحالة هذه

---

(١) انظر البحر المحيط ٢٤٧/٧

(٢) تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣

نزاعا . والله أعلم » ويقول الطبرى[1] : « وقوله : « إنّ ذلكم كان عند الله عظيما ، يقول : إن أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الإثم » ويقول القرطبى[2] : « إن ذلكم كان عند الله عظيما يعنى إذاية رسول الله ﷺ أو نكاح أزواجه . فجعل ذلك من جملة الكبائر ولا ذنب أعظم منه». ويقول الزمخشرى[3] وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسرّ قلبه واستغزر شكره ... وعن بعض الفقهاء أنّ الزوج الثانى فى هدم الثلاث[4] مما يجرى مجرى العقوبة فصين رسول الله ﷺ عما يلاحظ ذلك » .

وذكر فى سبب النزول أن بعضهم قال : أننهى أن نكلم بنات عمّنا إلاّ من وراء حجاب.لئن مات محمّد لأتزوّجن فلانة . وقال ابن عباس وبعض الصحابة : وفلانة عائشة[5] .

ويقول القرطبى[6] : « فى هذه الآية دليل على أنّ الله تعالى أذن فى مسألتهن من وراء حجاب فى حاجة تعرض أو مسألة يستفتين فيها . ويدخل فى ذلك جميع النساء بالمعنى ، وبما تضمنته أصول الشريعة من أنّ المرأة كلها عورة ، بدنها وصوتها كما تقدم ، فلا يجوز كشف ذلك إلاّ لحاجة . كالشهادة عليها ، أوداء يكون ببدنها أو سؤالها عمّا يعرض وتعيّن عندها » وأضاف القرطبى[7] : استدل بعض العلماء بأخذ الناس عن أزواج النبى ﷺ من وراء حجاب على جواز شهادة الأعمى » قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث . إنّ ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق . وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب . ذلكم أطهر لقلوبكم**

---

(١) تفسير الطبرى ٣٠/٢٢

(٢) تفسير القرطبى ص ٥٣١٢

(٣) الكشاف ٥٤٨/٢

(٤) أى الطلقات الثلاث

(٥) البحر المحيط ٢٤٧/٧

(٦) تفسير القرطبى ص ٥٣٠٩

(٧) ص ٥٣١٠

وقلوبهن . وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا . إنّ ذلكم كان عند الله عظيما ﴾

والآية الكريمة التالية مرتبطة بسابقتها تماماً . قال تعالى : ﴿ **إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإنّ الله كان بكل شيء عليما** ﴾ . لقد نهت الآية الكريمة السّابقة عن إيذاء المصطفى ﷺ فى أى صورة من صور الإيذاء ، بما فى ذلك مجرد التفكير فى الزواج بنسائه ﷺ بعد موته . والمفروض فى كل المسلمين لله ربّ العالمين أن يمتثلوا لهذه الأوامر السماوية وأن يكون ظاهرهم كباطنهم ، وعلانيتهم كسريرتهم ، فإنّ لهؤلاء أجرهم عند الله تعالى الذى يعلم السر وأخفى كما أن على الفريق المقابل وزرا . وقد تبينا أنّ الآية الكريمة تنص على أنّ الزواج بنسائه ﷺ من بعده يعتبر عند الله تعالى كبيرة من الكبائر . وينبغى أن يكون لمجرد التفكير فى هذا الأمر الذى نهى الله تعالى عنه وزر . إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم كل ما يبدى الناس وما يخفون ، فلا يخفى على الله تعالى شيء فى الأرض ولا فى السماء ، بما فى ذلك خائنة الأعين وما تخفى الصدور وما توسوس به كل نفس . « وقال : شيئاً . ليدخل فيه مايؤذيه عليه السّلام من نكاحهن وغيره . وهو صالح لكل باد وخاف »[1] ويقول القرطبى[2] : « والمراد به هاهنا التوبيخ والوعيد لمن تقدم التعريض به فى الآية قبلها ممن أشير إليه بقوله : ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ . ومن أشير إليه فى قوله : وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ... فصارت هذه الآية منعطفة على ما قبلها مبينة لها . والله أعلم . قال تعالى : « **إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإنّ الله كان بكل شيء عليما** » .

روى أنّه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب : أو نحن يا رسول الله أيضاً نكلّمُهنّ من وراء حجاب فنزلت : لا جناح عليهن[3] فى آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا » .

ويلاحظ أن الآية الكريمة تتحدّث عن أولئك المحارم الذين يحل للمرأة أن تلتقى

---

(١) البحر المحيط ٢٤٨/٧

(٢) تفسير القرطبى ص ٥٣١٢

(٣) البحر المحيط ٢٤٨/٧ وانظر تفسير القرطبى ص ٥٣١٣

بهم دون حجاب . وشيء طبيعى أن تبدأ الآية الكريمة بالإشارة إلى الأب الذى هو بإرادة الله تعالى السبب فى مجيء هذه الابنة عن طريق زوجه ، والدتها . وبعد الإشارة إلى الأب الذى يعنى ما علا تتحول الآية الكريمة إلى الإشارة إلى الابن ويشمل ما سفل،لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن،وأقرب الرّجال إلى المرأة بعد أبيها وابنها أخوها وما سفل . وقد نصت على ابن الأخ الآية الكريمة ، تماماً كما نصت على ابن الأخت ، لأنّ ابن الأخت فى مجال النسب يأخذ فى الابتعاد عادة عن الخط الذى يسير فيه ابن الأخ . فبينت الآية الكريمة أن ابن الأخ وابن الأخت بشأن العمة والخالة سيان فى هذه المسألة . قال تعالى : ﴿ **ولاإخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن** ﴾ وإنّ نص الآية الكريمة على النساء فى القول « ولا نسائهن » الذى يدخل فيه الأمهات والأخوات وسائر القرابات ومن يتصل بهن من المتطرفات لهن[1] إشعار بأن المرأة المسلمة لها من الكرامة والصون ما هى خليقة به ، ومن ثمّ فلا تطلع على ما يمكن الاطلاع عليه من أجزاء جسمها إلاّ المرأة المسلمة المؤمنة الطاهرة الذيل العفيفة . ويلحق بالمرأة المسلمة الشريفات وذوات العفة من غير المسلمات . وقد صرح ابن عباس رضى الله عنهما أنه ليس للمسلمة أن تتجرّد بين نساء أهل الذمة ، ولا أن تبدى للكافرة إلاّ ما تبدى للأجانب . والمقصود من هذا الحكم صون المسلمات من مفاسد عشرة النساء اللاّتى لا يعرف شيء من أخلاقهن وأدبهن . أو قد عرف منها مالا يرضى الإسلام . وأما الشريفات وذوات العفة والحياء من غير المسلمات فلا جرم أنهن يدخلن فى حكم « نسائهن » من الآية الكريمة[2] الحادية والثلاثين من سورة النور . قال ابن زيد فى قوله : ولا نسائهن قال : نساء المؤمنات الحرائر ليس عليهن جناح أن يرين تلك الزينة قال : وإنما هذا كله فى الزينة . قال :ولا يجوز للمرأة أن تنظر إلى شيء من عورة المرأة[3] كما أشارت الآية الكريمة إلى أنّ المرأة لا تحتجب عما ملكت يمينها . ومن العلماء من ذهب إلى أنّ المقصود الإماء فقط . قال سعيد بن المسيب : إنما يعنى الإماء فقط[4] ومن العلماء من

---

(١) البحر المحيط ٢٤٨/٧

(٢) انظر هنا الحجاب لأبى الأعلى المودودى ص ٢٨٧

(٣) تفسير الطبرى ٣١/٢٢

(٤) تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣

ذهب إلى أنّ المقصود الرّجال والنساء[1] يقول ابن كثير[2] : وقوله تعالى : ولا ما ملكت أيمانهن يعنى أرقاءهن من الذكور والإناث » ويقول أبو حيّان[3] : « والظاهر من قوله : ولا ماملكت أيمانهن :دخول العبيد والإماء دون ما ملك غيرهن وقيل مخصوص بالإماء . وقيل جميع العبيد ممن فى ملكهن أو ملك غيرهن .. وإذا كان للعبد المكاتب ما يؤدى فقد أمر رسول الله ﷺ بضرب الحجاب دونه ، وفعلته أمّ سلمة مع مكاتبها نبهان » .

ونستطيع أن نفهم أن أولئك الذين ذهبوا إلى كون القول : «و لا ما ملكت أيمانهن » يشمل الذكور والإناث ، لأن الذكور بحكم الحال التى هم فيها ليسوا بالذين يطمعون إلى سيداتهم . وبالتالى هم يلحقون فى وجه من الوجوه بغير أولى الإربة من الرّجال الذين نصت عليهم آية سورة النور .

ولم تذكر الآية الكريمة العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين . وقد يسمى العم أبا . قال الله تعالى[4] : نعبد إلهك وإله ابائك إبراهيم وإسماعيل . وإسماعيل كان العم[5] ومعروف أنّه يحرم من الرّضاعة ما يحرم من النسب . وروى أنّ عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن عليَّ أفلح أخو أبى القعيس بعدما أنزل الحجاب فقلت : لا آذن له حتى أستأذن فيه النبى ﷺ فإنّ أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعنى ولكن أرضعتنى امرأة أبى القعيس . فدخل عليَّ النبى ﷺ فقلت له : يا رسول الله ، إنّ أفلح أخا أبى القعيس استأذن ، فأبيت أن آذن له حتى استأذنك . فقال النبى ﷺ : وما منعك أن تأذنى .عمك.قلت يا رسول الله . إنّ الرّجل ليس هو أرضعنى ولكن أرضعتنى امرأة أبى القعيس فقال : ائذنى له فإنّه عمك تربت يمينك . قال عروة . فلذلك كانت عائشة تقول : حرموا من الرّضاعة ما تحرمون من النسب[6] .

---

(١) تفسير الطبرى ٣١/٢٢

(٢) تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣

(٣) البحر المحيط ٢٤٨/٧

(٤) سورة البقرة ١٣٣

(٥) تفسير القرطبى ص ٥٣١٣ وانظر البحر المحيط ٢٤٨/٧ والكشاف ٥٤٨/٢

(٦) صحيح البخارى ١٥٠/٦

وقد ذكر فى الآية الكريمة بعض المحارم . وذكر الجميع فى سورة النور فهذه الآية بعض تلك[1] وهذه هى الآية الكريمة من سورة النور[2] قال تعالى : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النّساء . ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن. وتوبوا إلى الله جميعاً أيهّا المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **واتقين الله إنّ الله كان على كل شىء شهيدا** ﴾ أى واخشينه فى الخلوة والعلانية فإنّه شهيد على كل شىء لا يخفى عليه خافية ، فراقبن الرقيب[3] ويلاحظ التحول من صيغة الغائب فى صدر الآية الكريمة إلى المخاطب فى القول : « واتقين الله » ومعروف دور الالتفات فى شد الانتباه . هذا إلى أنّ التحول كان إلى صيغة أخرى أقوى لاسم الضمير ، وهى صيغة المخاطب . ومعروف أنها أقوى من صيغة الغائب : « أى واتقين الله فيما أمرتن به من الاحتجاب ، وأنزل الله فيه الوحى من استتار وكأن فى الكلام جملة حذفت تقديره : اقتصرن على هذا واتقين الله فيه أن تتعدينه إلى غيره »[4] ويقول الزمخشرى[5] : « ثمّ نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب . وفى هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل : واتقين الله فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحى من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن . واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى فى حفظهما وليكن عملكن فى الحجب أحسن ممّا كان وأنتن غير محجبات ليفضل سِرُّكنّ علنكنّ » ويقول القرطبى[6]:« لمّا ذكر الله تعالى الرّخصة فى هذه الأصناف وانجزمت الإباحة عطف بأمرهن بالتقوى عطف جملة . وهذا فى غاية البلاغة والإيجاز .

---

(١) تفسير القرطبى ص ٥٣١٣

(٢) الآية ٣١

(٣) تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣

(٤) البحر المحيط ٢٤٨/٧

(٥) الكشاف ٥٤٨/٢

(٦) تفسير القرطبى ص ٥٣١٣

كأنه قال : اقتصرن على هذا واتقين الله فيه أن تتعدّينه إلى غيره . وخصّ النساء بالذّكر وعينهن فى هذا الأمر لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن والله أعلم » ويقول الطبرى[1] وقوله واتقين الله . يقول : وخفن الله أيّها النساء أن تتعدين ما حدد الله لكنّ فتبدين زينتكن ما ليس لكن أن تبدينه أو تتركن الحجاب الذى أمركن الله بلزومه إلاّ فيما أباح لكن تركه . والزمن طاعته . إنّ الله كان على كلّ شىء شهيداً . يقول تعالى ذكره : إنّ الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكن وترككن الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له ، وغير ذلك من أموركن . يقول : فاتقين الله فى أنفسكن لا تلقين الله وهو شاهد عليكم[2] بمعصيته وخلاف أمره ونهيه فتهلكن فإنّه شاهد على كل شىء» قال تعالى : ﴿ **لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شىء شهيدا** ﴾.

والآية الكريمة التالية تبين منزلة المصطفى ﷺ الرّفيعة العالية عند بارئه . قال تعالى : ﴿ **إنّ الله وملائكته يصلون على النبى . يا أيّها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ .

لقد تبينا من ذى قبل أنّ الآية الكريمة الثالثة والأربعين ، قال تعالى : ﴿ **هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما** ﴾ التى نصت على صلاة الله تعالى على عباده المؤمنين بمعنى الرّحمة والغفران . وصلاة الملائكة عليهم بمعنى الاستغفار ، إنّما كان استجابة منه جلّ وعلا لعباده المؤمنين وتفضلا منه جل وعلا عليهم ، كى ينالوا حظهم من نوع فضل الله تعالى على حبيبه المصطفى ﷺ فى الآية الكريمة التى نحن بصددها الآن ، والتى نصت على صلاة الله تعالى والملائكة على الرّسول الكريم . فعلى المؤمنين أن يصلّوا عليه ويسلموا تسليما . جاء فى سورة البقرة[3] قوله تعالى : ﴿ **وبشر الصّابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالو إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم**

---

(١) تفسير الطبرى ٣١/٢٢

(٢) هكذا بالأصل والمتوقع « عليكن » .

(٣) الآيات ١٥٥ - ١٥٧

ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ وفى الحديث إنّ الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف . وفى الحديث الآخر : اللهم صل على آل أبى أوفى . وقال رسول الله ﷺ لامرأة جابر وقد سألته أن يصلى عليها وعلى زوجها : صَلّى الله عليك وعلى زوجك[1] .

فما معنى الصّلاة من الله تعالى ومن الملائكة ومن المؤمنين ؟ معنى الصّلاة من الله تعالى رحمته ورضوانه . ومن الملائكة الدّعاء والاستغفار . ومن الأمة الدّعاء والتعظيم لأمره ﷺ[2] والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده . ونبيه عنده فى الملأ الأعلى بأنّه يثنى عليه عند الملائكة المقربين . وأنّ الملائكة تصلى عليه . ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصّلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعا »[3] .

وإنّ هذه النظرة الإجمالية للمحور الذى تدور حوله الآية الكريمة بحاجة منا إلى نظرة أخرى متأملة للآية الكريمة .

من الواضح أنّ الآية الكريمة تتكون من شقين اثنين أوّلهما الذى يقرّر صلاة الله تعالى وملائكته على النبى . قال تعالى : ﴿ **إنّ الله وملائكته يصلون على النبى** ﴾ وثانيهما الذى يأمر الأمة المسلمة لله ربّ العالمين أن تصلى على الرسول الكريم وأن تسلم عليه كذلك . إنّ الشق الثانى لا يقف عند الصلاة التى وقف عندها الشق الأول ، إنما يضيف إلى ذلك التسليم عليه ﷺ . وليس ذلك فحسب بل إنّ الفعل ليؤكد بمصدره ممّا هو دليل عى أن التسليم ينبغى أن يكون من النوع اللائق به ﷺ . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ .

فمع الشق الأول . قال تعالى : ﴿ **إنّ الله وملائكته يصلون على النبى** ﴾ . إنّ الآية الكريمة تبدأ بأداة التوكيد « إن » التى تخدم الغرض الذى تهدف الآية الكريمة إليه ، وهو تبيين منزلته ﷺ العالية الرّفيعة عند بارئه . والآية الكريمة تعطف الملائكة على لفظ الجلالة « إنّ الله وملائكته » ونحن نود أن نتأمل مليا هذا العطف والجمع

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٠٧/٣

(٢) انظر تفسير القرطبى ص ٥٣١٤

(٣) تفسير ابن كثير ٥٠٧/٣

فى نسق بين الذات العلية وبين الملائكة المقرّبين . إنّ التعبير ليعجز عن تصوير مدى احتفاء الملأ الأعلى بالنبى الأمى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ . إنّ ربّ العزة مالك الملك ذا الجلال والإكرام هو الذى يرسل شآبيب رحمته ورضوانه وثنائه عليه عند الملائكة[1] وإنّ الملائكة المقربين . الذين لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ليدعون بدورهم للمصطفى ﷺ[1] ويبركون ويستغفرون له ﷺ[2] وهوالذى غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما نصت على ذلك سورة الفتح قال تعالى[3] :﴿ **إنّا فتحنا لك فتحاً مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا** ﴾ وانظر إلى الإشارة إليه ﷺ بلفظ النبى ، امتدادا لفضل الله تعالى على هذا النبى الكريم ، حيث إن الإشارة إليه فى القرآن الكريم ، دون غيره من الأنبياء والمرسلين ، إنما تكون بوصفه نبيا أو رسولا ، وتمشيا مع الفضل العظيم الذى حبا الله تعالى به هذه الرسول الكريم ، بصلاته هو جل وعلا وملائكته المقربين عليه ﷺ . وتأمل عودة الضمير فى القول « يصلون » على الله وملائكته[4] إن التعبير ليس فى هذه الصورة مثلا إن الله والملائكة وإنما فى هذه الصورة « إنّ الله وملائكته »يقول القرطبى[5] : وهذا قول من الله شرف به ملائكته» وهل فى الإمكان أن يفهم من هذا التعبير الذى يشمل أساساً كل الملائكة ميلٌ إلى شىء من الخصوص تجاه فريق من الملائكة هم الأكثر قربا من الحضرة الرّبانية ؟ من الجائز أن يفهم من العموم هذا النوع من الخصوص ، والله تعالى أعلم . وقيل : فى الكلام حذف أى يصلى وملائكته يصلون فراراً من اشتراك الضمير[6] فليس فى الآية اجتماع فى ضمير[7] قال تعالى :﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى** ﴾ .

فإذا تحوّلنا إلى الشق الثانى فى الآية الكريمة :﴿ **يا أيّها الذين آمنوا صلوا عليه**

---

(١) صحيح البخارى ١٥١/٦

(٢) تفسير القرطبى ٥٣١٤ وتفسير ابن كثير ٥٠٦/٣

(٣) سورة الفتح ١ - ٣

(٤) انظر البحر المحيط ٢٤٨/٧

(٥) تفسير القرطبى ص ٥٣١٤

(٦) البحر المحيط ٢٤٨/٧

(٧) تفسير القرطبى ص ٥٣١٤

وسلموا تسليماً ﴾ تبيناً التحوّل من الملأ الأعلى إلى الملأ السفلى . ولكن أى ملأ سفلى هذا ؟ إنّه ثمرة منهج التربية القرآنية . إنّهم المؤمنون المتقون الذين تعنى بهم هذه السورة الكريمة المدنية عناية بالغة ، فتأمرهم بأن يصلوا على المصطفى ﷺ ، بمعنى أن يدعوا له ﷺ ويعظموا أمره . وذلك أن الصلاة فى كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء[1] ولا تكتفى الجزئية الكريمة بالصلاة كما تبينا ، إنما تتجاوز ذلك فى صورة مؤكدة إلى طلب السلام عليه . يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبى الله محمدّ ﷺ وسلموا تسليما . يقول : وحيوه تحية الإسلام[2] قال القاضى أبو بكر بن بكير : نزلت هذه الآية على النبى ﷺ فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه ، وكذلك من بعدهم أمروا أن يسملوا عليه عند حضورهم قبره وعند ذكره[3] قال النووى : إذا صلى على النبى ﷺ فليجمع بين الصّلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما . فلا يقول : صلى الله عليه فقط . ولا عليه السّلام فقط . وهذا الذى قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهى قوله : يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . فالأولى أن يقال : صلى الله عليه وسلم تسليما[4] .

وثمة مجموعة من المسائل المتعلقة بالآية الكريمة نودّ أن نذكرها فى هيئة نقاط :

١ – قوله تعالى :﴿ يا أيّها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليما ﴾ يفهم منه منزلة هؤلاء المؤمنين المتقين العالية الرّفيعة عند بارئهم . إنّ الخطاب يوجه إليهم بصريح الإيمان بعد أن جاء فى الآية الكريمة صراحة لفظ الجلالة « الله » ولفظة الملائكة مضافة إلى الضمير العائد إلى الذات العلية « وملائكته » .

٢ – قوله تعالى :﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ أمر الله تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمّد ﷺ دون أنبيائه تشريفا له ولا خلاف فى أنّ الصّلاة عليه فرض فى العمر مرّة . وفى كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التى لا يسع تركها ولا يغفلها إلاّ من لاخير فيه[5] .

---

(١) تفسير الطبرى ٣١/٢٢

(٢) تفسير الطبرى ٣١/٢٢

(٣) تفسير القرطبى ص ٥٣١٨

(٤) تفسير ابن كثير ٥١٧/٣

(٥) تفسير القرطبى ص ٥٣١٤

٣ – جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه . وكيفية الصلاة عليه[١] عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قيل يا رسول الله أمّا السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة ، قال : قولوا : اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صليت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد . اللهم بارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد[٢] وعن أبى سعيد الخدرى قال : قلنا يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلى عليك ؟ قال قولوا : اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم . قال أبو صالح عن الليث : على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم[٣] عن كعب بن عجرة قال : لما نزلت : ﴿ **إنّ الله وملائكته يصلّون على النبى يا أيّها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ . قال : قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد . وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .. ومعنى قولهم : أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذى فى التشهد الذى كان يعلمهم إياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه : السلام عليك أيُّها النبى ورحمة الله وبركاته[٤] .

٤ – اختلف العلماء فى الصلاة على النبى ﷺ فى الصلاة . فالذى عليه الجَمّ الغفير والجمهور الكثير أن ذلك من سنن الصلاة ومستحبّاتها . قال ابن المنذر : يستحب ألاّ يصلى أحد صلاة إلاّ صلى فيها على رسول الله ﷺ . فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزية فى مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثورى وأهل الكوفة من أصحاب الرّأى وغيرهم . وهو قول جل أهل العلم . وحكى عن مالك وسفيان أنها فى التشهد الأخير مستحبه ، وأنّ تاركها فى التشهد مسىء . وشذ الشافعى ، فأوجب على تاركها فى الصلاة الإعادة . وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٠٧/٣

(٢) صحيح البخارى ١٥١/٦ وانظر تفسير القرطبى ص ٥٣١٥

(٣) صحيح البخارى ١٥١/٦

(٤) تفسير ابن كثير ٥٠٧/٣

دون النسيان . وقال أبو عمر : قال الشافعى : إذا لم يصل على النبى ﷺ فى التشهد الأخير بعد التشهد وقبل التسليم أعاد الصلاة . قال : وإنّ صلى عليه قبل ذلك لم تجزه .. والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعى وإجماعهم عليه . وقد شنع عليه فى هذه المسألة جدا . وهذا تشهد ابن مسعود الذى اختاره الشافعى ، وهو الذى علمه النبى ﷺ ليس فيه الصلاة على النبى ﷺ . وكذلك كل من روى التشهد عنه ﷺ . وقال ابن عمر : كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان فى الكتاب . وعلّمه أيضاً على المنبر عمر ، وليس فيه ذكر الصلاة على النبى ﷺ[1] وقد علق القرطبى على ذلك قائلا[2] : « قد قال بوجوب الصلاة على النبى ﷺ فى الصلاة محمد بن المواز من أصحابنا فيما ذكر ابن القصار وعبد الوهاب ، واختاره ابن العربى للحديث الصحيح : إنّ الله أمرنا أن نصلى عليك فكيف نصلى عليك ؟ فعلم الصلاة ووقتها فتعينت كيفية ووقتا . وذكر الدّار قطنى عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين أنه قال : لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبى ﷺ ولا على أهل بيته لرأيت أنها لم تتم . وروى مرفوعا عنه عن ابن مسعود عن النبى ﷺ . والصواب أنّه قول أبى جعفر . قاله الدّار قطنى»ويقول ابن كثير بشأن الصلاة على النبى ﷺ فى التشهد الأوّل[3] : « وأمّا التشهد الأوّل فلا تجب فيه قولا واحدا . وهل تستحب ؟ على قولين للشافعى » .

٥ـحدث عبد الله بن عامر بن ربيعةعن أبيه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : من صلى علىَّ صلاة لم تزل الملائكة تصلى عليه ما صلى علىّ ، فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر . ورواه ابن ماجة من حديث شعبة به[4] عن عبد الرحمن بن عوف قال : قام رسول الله ﷺ فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجداً ، فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها . فدنوت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال . من هذا ؟ قلت : عبد الرحمن قال : ما شأنك ؟ قلت : يا رسول الله

---

(١) تفسير القرطبى ص ٥٣١٧

(٢) تفسير القرطبى ص ٥٣١٨

(٣) تفسير ابن كثير ٥١٣/٣

(٤) تفسير ابن كثير ٥٠٩/٣

سجدت سجدة خشيت أنّ يكون الله قد قبض روحك فيها فقال : إن جبريل أتانى فبشرنى أن الله عزّ وجل يقول لك : من صلى عليك صليت عليه . ومن سلم عليك سلمت عليه . فسجدت لله عزّ وجل شكراً[1] عن عمر بن خطاب رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ لحاجة فلم يجد أحداً يتبعه . ففزع عمر فأتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبى ﷺ ساجداً فى مشربة فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبى ﷺ رأسه فقال : أحسنت يا عمر حين وجدتنى ساجدا فتنحيت عنى . إنّ جبريل أتانى فقال : من صلى عليك من أمتك واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات . ورفعه عشر درجات . وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج من الصحيحين[2] روى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .. عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشرا . قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح[3] قال الإمام أحمد .. إنّ رسول الله ﷺ قال : البخيل من ذكرت عنده ثمّ لم يصل علىّ . وقال أبو سعيد فلم يصل علىّ[4] قال الترمذى .. عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثمّ انسلخ قبل أن يغفر له . ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة . ثم قال حسن غريب . قلت : وقد رواه البخارى فى الأدب[5] .

٦ ــ ورد الأمر بالصّلاة على النبى صلّى الله عليه وسلم فى أوقات كثيرة . فمنها واجب ومنها مستحبّ على مانبيّنه .

(أ) فمنه بعد النداء للصلاة للحديث الذى رواه أحمد .. سمع عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول : إنّه سمع رسول الله ﷺ يقول : إذا سمعتم مؤذّنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا . ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلاّ لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل لى الوسلة حلت عليه الشفاعة . وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى[6] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٥١٠

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٥١٠

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٥١١ وانظر تفسير القرطبى ص ٥٣١٧

(٤) تفسير ابن كثير ٣/٥١٢

(٥) تفسير ابن كثير ٣/٥١٢

(٦) تفسير ابن كثير ٣/٥١٢

(ب) ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه . للحديث الذى رواه الإمام أحمد .. عن عبد الله بن الحسن عن أمّه فاطمة بنت الحسين عن جدّته فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمّد وسلم ثم قال : اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك . وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال : اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك[١] .

(جـ) ومن ذلك الصلاة عليه ﷺ فى صلاة الجنازة[٢] .

(د) ومن ذلك فى صلاة العيد[٣] .

(هـ) ومن ذلك أنّه يستحب ختم الدّعاء بالصلاة عليه ﷺ .

(و) ومن ذلك أنه يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة[٤] .

(ز) يجب على الخطيب أن يصلى على النبى ﷺ يوم الجمعة على المنبر فى الخطبتين . ولا تصح الخطبتان إلاّ بذلك لأنها عبادة . وذكر الله شرط فيها . فوجب ذكر الرسول ﷺ فيها كالأذان والصلاة . هذا مذهب الشافعى وأحمد رحمهما الله[٥] .

(حـ) ومن ذلك أنّه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره ﷺ[٦] .

(ط) ويستحب للمحرم إذا لبى وفرغ من تلبيته أن يصلى على النبى ﷺ لما رواه الشافعى والدّار قطنى[٧] .

(ى) ويستحب الصلاة على النبى ﷺ مع ذكر الله عند الذبح واستأنسوا بقوله تعالى : « **ورفعنا لك ذكرك** »[٨] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٥١٣
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٥١٣
(٣) تفسير ابن كثير ٣/٥١٣
(٤) تفسير ابن كثير ٣/٥١٤
(٥) تفسير ابن كثير ٣/٥١٤
(٦) تفسير ابن كثير ٣/٥١٤
(٧) تفسير ابن كثير ٣/٥١٥
(٨) تفسير ابن كثير ٣/٥١٥

٧ – وأمّا الصلاة على غير الأنبياء فإن كانت على سبيل التبعية كما تقدم فى الحديث : اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته فهذا جائز بالإجماع[١] قال الجمهور من العلماء : لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة . لأنّ هذا قد صار شعاراً للأنبياء إذا ذكروا فلا يحق بهم غيرهم. فلا يقال: قال أبوبكر صلّى الله عليه وقال على صلى الله عليه . وإن كان المعنى صحيحا . كما لا يقال : قال محمد عز وجل وإن كان عزيزاً جليلا ، لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل . وحملوا ما ورد فى ذلك من الكتاب والسنة على الدّعاء لهم ولهذا لم يثبت شعاراً لآل أبى أوفى ولا لجابر وامرأته . وهذا مسلك حسن .. ثم اختلف المانعون فى ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الأولى على ثلاثة أقوال حكاه الشيخ أبو زكريا النووى فى كتاب الأذكار . ثم قال : والصحيح الذى عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم والمكروه هو ما ورد فيه نهى مقصود[٢] عن ابن عباس أنه قال : لا تصح الصلاة على أحد إلاّ على النبى صلى عليه وعلى آله وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمغفرة[٣] .

لقد أشارت أولى آيات هذا القسم إلى بعض ما يؤذى المصطفى ﷺ من قبل المؤمنين فى ميدان السلوك ، كأن يأتى البعض وقت الطعام دون دعوة ، وكأن يمكث بعد تناول الطعام مستأنسا لحديث البعض الآخر . وأشارت كذلك إلى أنّه ما يصح للمؤمنين أن يوذوا المصطفى ﷺ بشأن الطعام وبشأن الاطلاع على أزواجه ﷺ أو التفكير فى الزواج بهن بعد وفاته ﷺ . وبما أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى ، ومحبته ﷺ من محبته عزّ وجل كما نص على ذلك القرآن الكريم ، فذلك معناه أن عصيانه ﷺ عصيان لله ، وبغضه بغض لله تعالى . ويقاس على ذلك أن إذايته ﷺ هى إذاية لله تعالى . وإنّ الآيتين الكريمتين التاليتين المترابطتين ، تكاد أولاهما تقرر ذلك . قال تعالى :﴿ **إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدّنيا والآخرة وأعدلهم عذاباً مهينا . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا** ﴾.

---

(١) تفسير ابن كثير ٥١٦/٣

(٣) تفسير ابن كثير ٥١٦/٣

(٣) تفسير ابن كثير ٥١٧/٣

وواضح أنّ الآية الكريمة الأولى تتحدّث عن أذى العباد لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ ، وأنّ الآية الكريمة الثانية تتحدث عن أذى المؤمنين والمؤمنات . كما تشير الآية الكريمة الأولى إلى طبيعة الذنب العظيم الذى ارتكبه العباد فى حق الله تعالى وحق رسوله الكريم ، وتعيّن العقاب الشديد والعذاب المهين لهم . وتشير الآية الكريمة الثانية إلى طبيعة الذنب الذى ارتكبه العباد فى حق البريئين والبريئات من المؤمنين والمؤمنات ، وكون ذلك بهتاناً وإثما مبينا .

فمع الآية الكريمة الأولى . قال تعالى : ﴿ **إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدّنيا والآخرة وأعدّ لهم عذابا مهينا** ﴾ وإنّ أوّل سؤال يطرح هو كيف تكون إذاية بعض العباد لله تعالى ؟ تكون إذاية بعض العباد لله تعالى بالإشراك معه جل وعلا غيره ، وادعاء الصاحبة والولد له . تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً . فمن قائل إنّ الأصنام شركاء الله . ومن قائل إن الجن شركاء الله . ومن قائل إن الملائكة بنات الله . وهؤلاء النصارى يزعمون أنّ المسيح ابن الله ، واليهود يزعمون أنّ عزيرا ابن الله ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا** ﴾ إلى غير ذلك من ترهّات . قال تعالى[1] : ﴿ **وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون . بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم. ذلكم الله ربكم لا إله إلاّ هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ وقال تعالى[2] : ﴿ **فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون.أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون . ألا إنهم من إفكهم ليقولون . ولد الله وإنهم لكاذبون . اصطفى البنات على البنين . مالكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون.أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون . إلاّ عباد الله المخلصين** ﴾ وقال تعالى[3] : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول**

---

(١) سورة الأنعام ١٠٠ - ١٠٣

(٢) سورة الصافات ١٤٩ - ١٦٠

(٣) سورة التوبة ٣٠

الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكريمات التى تبين بعض مظاهر أذى العباد لله تعالى . وفى صحيح البخارى قال الله تعالى : كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك[1] وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ، يقول الله عزّ وجلّ : يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلّب ليله ونهاره[2] عن ابن عباس نزلت فى الذين طعنوا على النبى ﷺ تزويجه صفية بنت حيى بن أخطب[3] ويعلق ابن كثير قائلا[4] : والظاهر أن الآية عامة فى كل من آذاه بشىء ومن آذاه فقد آذى الله . كما أن من أطاعه فقد أطاع الله».

وأمّا أذى العباد لرسول الله ﷺ فقد أشارت الآية الكريمة الأولى فى القسم ، الثالثة والخمسون فى السورة الكريمة ، إلى بعض مظاهر ذلك الأذى ، وستعود السورة الكريمة فى الآية التاسعة والستين ، إلى نهى المسلمين عن أذاه ﷺ وألا يتورطوا فيما تورّط فيه بنو إسرائيل فى حق نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام . وقد أشارت غير هذه السورة الكريمة إلى العديد من مظاهر أذى العباد للمصطفى ﷺ ، كالزعم بأنه شاعر وساحر وكاهن وكاذب ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا** ﴾ جاء مثلا فى سورة الفرقان[5] قوله تعالى :﴿ **وقالوا مالهذا الرّسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها . وقال الظالمون إن تتبعون إلاّ رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا** ﴾ . إلى غير ذلك من آيات كريمات . يقول القرطبى[6] : « وأمّا إذاية رسول الله ﷺ فهى كل ما يؤذيه من الأقوال فى غير معنى واحد ، ومن الأفعال أيضاً . أمّا قولهم فساحر شاعر كاهن مجنون . وأمّا فعلهم فكسر رَبَاعِيَتِه وشج وجهه يوم أُحُد . وبمكة إلقاء السَّلى[7] على

---

(١) تفسير القرطبى ٥٣١٩

(٢) تفسير ابن كثير ٥١٧/٣

(٣) تفسير ابن كثير ٥١٧/٣ وانظر تفسير الطبرى ٣٢/٢٢ والبحر المحيط ٢٤٨/٧

(٤) تفسير ابن كثير ٥١٧/٣

(٥) الآيات ٧ - ٩

(٦) تفسير القرطبى ٥٣٢٠

(٧) السلى بفتح السين جلدة يكون ضمنها الولد فى بطن أمه وإذا انقطع فى البطن هلكت الأم والولد .

ظهره وهو ساجده إلى غير ذلك . وقال ابن عباس : نزلت فى الذين طعنوا عليه حين اتخذ صفية بنت حيى » .

وما جزاء الذين يؤذون الله تعالى ورسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ؟ الجزاء فى قوله تعالى : **لعنهم الله فى الدّنيا والآخرة وأعدّ لهم عذابا مهينا** واللعن معناه الطرد من رحمة الله تعالى والعياذ بالله . إنّ ربّ العزة الذى وسعت رحمته كل شىء ، هو الذى يطرد الذين يؤذونه جل وعلا ورسوله الكريم ، من رحمته التى تلك صفتها . وهذا الطرد من الرحمة فى كل من الدنيا والآخرة ، وليس وراء هذا الشقاء شقاء . ولكنه العقاب الذى يستحقه المتجرىء على الله تعالى وعلى رسوله الكريم . بل إن العقاب لا يقف عند الطرد من رحمة الله تعالى ، بل يتجاوزه إلى العذاب المهين الذى ينتظر هذا المؤذى يوم القيامة ، يوم يقلّب فى نار جهنم التى يصلاها . إنّ الآية الكريمة تنص على الطرد من رحمة الله تعالى فى الدّنيا والآخرة . ويفهم من إعداد العذاب المهين للمؤذى أنّه فى الآخرة ، حيث يجمع له الطرد من رحمة الله تعالى والعذاب المهين فى جهنم وبئس المصير . إنّ الجمع فى الآخرة للمؤذى بين الطرد من رحمة الله تعالى وبين العذاب المهين كفيل بأن يحمل من لديه مُسْكة من عقل ، على أن يعود إلى الصراط المستقيم أدراجه ، كى تزايله لعنه الله تعالى ، وكى ينال حظه من شآبيب رحمة البر الرحيم . وإذا كان الطرد من رحمة الله تعالى فى الدّنيا للمؤذى لله تعالى ولرسوله الكريم ، لا يحسّ به الأشقياء فى هذه الحياة الدّنيا ، وكأن لسان حالهم يقول : إن ذلك الطرد من جنس هذا الطرد الذى نحس به ، فإنّ النص على العذاب المهين الذى ينتظر هؤلاء المؤذين ، كفيل بأن يعيد إليهم صوابهم ورشدهم ، على نحو ما تبينا . ونحن نستطيع أن نفهم من نوع العقاب الذى يستحقه المؤذى لله تعالى ولرسوله الكريم ، أن هذا النوع من الأذى قد جعلته الآية الكريمة كفرا[1] أخرج ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس فى قوله : إنّ الذين يؤذون الله ورسوله الآية . قال : نزلت فى الذين طعنوا على النبى ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيى . وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس : أنزلت فى عبد الله بن أُبَيّ وناس معه قذفوا عائشة . فخطب النبى ﷺ وقال : من يعذرنى من رجل يؤذينى ويجمع فى

---

(١) انظر تفسير القرطبى ص ٥٣٢٢

بيته من يؤذينى فنزلت[1] قال تعالى :﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا** ﴾.

فإذا تحولنا إلى الآية الكريمة التالية . قال تعالى : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا** ﴾ تبينا أنّها تتحول إلى الحديث عن المؤمنين والمؤمنات . ومن البين أننا بصدد فريقين من الرجال والنساء . وقد قال تعالى[2] : ﴿ **الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ فنحن بصدد استمرار للتدرج الذى لاحظناه قبل فى الآية الكريمة السابقة . فبعد الإشارة إلى الذات العلية تمّ التحول إلى أشراف الانبياء والمرسلين عبده ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ . ثم إننا بعد ذلك بصدد هذا الاستدراك أو التقييد : « بغير ما اكتسبوا » الذى يمكن أن ينظر إليه من حيث وجوده هنا ، وعدم وجوده من قبل أصلا . وفى ذلك إشعار بأنّ الأذى فى حق الله تعالى وحق رسوله . إنما يكون مطلقا . بينما هو مقيّد فى حقّ البشر بكون الذى أوذى بريئا . أمّا إذا لم يكن بريئاً وكان مذنباً مؤذياً ، فإن الإسلام قد وضع لكلّ ذنب عقوبته التى تتجاوز القول إلى الفعل وإلى الحدّ الذى يوضع معه حدّ لحياة الإنسان حينما يكون قاتلا . أوزانيا محصنا ، أو تاركا لدينه مفارقا للجماعة . ومعروف أن الذين لا يحكمون بما أنزل الله تعالى كافرون وظالمون وفاسقون ، كما نصت على ذلك سورة المائدة . يقول القرطبى[3] : « وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأنّ إيذاء الله ورسوله لا يكون إلاّ بغير حقّ أبدا . وأمّا إيذاء المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه » والآية الكريمة تأخذ بسبب من قوله تعالى فى سورة النساء[4] : ﴿ **ومن يكسب خطيئة أو إثما ثمّ يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا** ﴾ وقوله تعالى فى سورة النور[5] : ﴿ **إنّ الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم**

---

(١) لباب النقول ص ١٧٩
(٢) سورة النساء ٣٤
(٣) تفسير القرطبى ٥٣٢٠
(٤) الآية ١١٢
(٥) الآيات ٢٣ - ٢٥

بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أنّ الله هو الحق المبين ﴾ .

ونودّ أن نقف عند الجملتين المتماثلتين صوتا « اكتسب واحتمل » ويرتبط بذلك التماثل الصوتى تماثل معنوى . ونودّ بهذه المناسبة أن نقتبس ما قاله العلامة ابن القيم فى هذا الشأن ، مبينا الفرق بين كسب التى تعنى سهولة الكسب . واكتسب التى تعنى صعوبة الاكتساب . ويقاس على ذلك حمل واحتمل وصبر واصطبر يقول رحمه الله تعالى[1] : « الاصطبار افتعال من الصبر كالاكتساب والاتخاذ . وهو مشعر بزيادة المعنى على الصبر كأنه صار سجية وملكة . فإنّ هذا البناء مؤذن بالاتخاذ والاكتساب . قال تعالى[2] : فارتقبهم واصطبر . فالاصطبار أبلغ من الصبر ، كما أنّ الاكتساب أبلغ من الكسب ولهذا كان فى العمل الذى يكون على صاحبه . والكسب فيما له . قال تعالى[3] : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ . تنبها على أنّ الثواب يحصل لها بأدنى سعى وكسب ، وأنّ العقاب إنّما هو باكتسابها وتصرفها وما تعانيه».

فى ضوء هذه التفرقة الدّقيقة بين كسب واكتسب وحمل واحتمل نحن نودّ أن ننظر إلى جملة اكتسب المتعلقة فى الآية الكريمة بالمؤمنين والمؤمنات . ونحن نتبين منها الإشعار بأنّ هؤلاء المؤمنين والمؤمنات ، هم بفضل الله تعالى ومنّه بعيدون عن ارتكاب كبائر الإثم والفواحش ويكادون يبتعدون عن ارتكاب اللّمم . إنّ عملية ارتكاب الذنب عملية ليست بالسهلة عليهم ولا بالهينة فى حقهم إنهم أسمى من ارتكاب شىء من تلك الذنوب ، لأنه أمر من الصعب أن يكتسب من جهتهم ويرتكب . ونودّ وراء ذلك أن ننظر فى المقابل إلى جملة احتمل ، من زاوية المؤذين للمؤمنين والمؤمنات . وهنا نتبين أنهم أجهدوا أنفسهم فى غير طائل بل فيما يعود عليهم بالخسران المبين ، ومع ذلك هم يبذلون أكبر التضحيات ويقدمون أعظم المجهودات من أجل ماذا ؟ من أجل إيذاء المؤمنين والمؤمنات ، ذلك الإيذاء الذى يعنى آليا إيذاءهم هم أنفسهم ، فهم بمثابة من ارتد سلاحه عليه .

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٣٤٧

(٢) سورة القمر ٢٧

(٣) سورة البقرة ٢٨٦

وحينما يكون المؤمن بريئاً من الذنب الذى نسب إليه وألحق به فذلك هو البهتان . أمّا حينما يكون قد ارتكب أمرا يسوؤه ذكره ، وأنت تذكره من خلفه فتلك هى الغيبة . وإذا كانت الغيبة وهى أهون من البهتان قد جاء فيها قوله تعالى[1] : ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضا . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا أ فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم** ﴾ فكيف بالبهتان ؟ إن البهتان كبيرة من الكبائر . يقول القرطبى : « وقد ميز الله تعالى بين أذى الرسول وأذى المؤمنين ، فجعل الأوّل كفراً والثانى كبيرة فقال فى أذى المؤمنين : فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا » . يقول ابن كثير[2] : « وهذا هو البهت[3] الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم » وقال أبوداود .. عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنّه قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته . وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته . وهكذا رواه الترمذى ثم قال : حسن صحيح[4] عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لأصحابه أى الربا أربى عند الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أربى الرّبى عند الله استحلال عرض امرىء مسلم . ثم قرأ : والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا عن مجاهد قال : قرأ ابن عمر والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا . قال : فكيف إذا أوذى بالمعروف فذلك يضاعف له العذاب[5] قال تعالى : ﴿ **إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدّنيا والآخرة وأعدّ لهم عذابا مهينا . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا** ﴾.

ونتحوّل إلى الآية الكريمة التالية . قال عزّ من قائل : ﴿ **يا أيُّها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعْرَفْن**

---

(١) سورةالحجرات ١٢

(٢) تفسير ابن كثير ٥١/٣

(٣) البهت بفتح الباء وسكون الهاء .

(٤) تفسير ابن كثير ٥١٨/٣

(٥) تفسير الطبرى ٣٣/٢٢

فلايؤذين وكان الله غفورا رحيما ﴾ والآية الكريمة كما هو واضح تأمر المصطفى ﷺ ، مخاطبة له فى الطريقة التى يخاطبه فيها القرآن الكريم على جهة الخصوص ، بأن يقول لأزواجه وبناته ونساء المؤمنين ، يدنين عليهن من جلابيبهن فلاتظهرلهن شعور ولا وجوه ولا أعطاف ، كى يعرفن بأنهن حرائر طاهرات شريفات . فلايتعرض لهن مريضو القلوب بأدنى أذى . وتشير الآية الكريمة إلى مغفرة الله تعالى ورحمته ، فاتحة الباب لأولئك الذين لم يمتثلوا لهذه التعاليم ولم يطبقوها وقتا من الأوقات ، إما تهاونا وإما جهلا . « وكان الله غفورا رحيما لما سلف منهن من تركهن إدناءهن الجلابيب عليهن . رحيما بهن أن يعاقبهن بعد توبتهن بإدناء الجلابيب عليهن »[1] . وبعد هذه النظرة الأولى السريعة ، نحن بحاجة إلى نظرة أخرى . فما مناسبة نزل هذه الآية الكريمة ؟

أخرج ابن سعد فى الطبقات عن أبى مالك قال : كان نساء النبى ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهن . وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين فشكوا ذلك فقيل ذلك للمنافقين فقالوا : إنما نفعله بالإماء فنزلت هذه الآية : ﴿ **يا أيُّها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعْرَفْن فلا يؤذين** ﴾ . ثم أخرج نحوه عن الحسن ومحمد بن كعب القرظى[2] والآية الكريمة تشير إلى الكيفية التى تخرج فيها المرأة المسلمة لله ربّ العالمين . ومعروف أنها إنما تخرج لضرورة ، وإلاّ فقد أمر الله تعالى المرأة المسلمة أن تقبع فى بيتها . قال تعالى[3] : ﴿ **وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ . كما أنّ لها أن تخرج من بيتها للضرورة . عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر ابن الخطاب فقال : يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين . قالت : فانكفأت راجعة ، ورسول الله ﷺ فى بيتى وإنّه ليتعشى وفى يده عرق[4] فدخلت فقالت : يا رسول الله إنى خرجت لبعض حاجتى فقال لى عمر كذا

---

(١) تفسير الطبرى ٣٤/٢٢

(٢) لباب النقول ١٨٠

(٣) سورة الأحزاب ٣٣

(٤) العرق بفتح العين وسكون الراء : العظم أخذ عنه معظم اللحم .

وكذا . قالت : فأوحى الله إليه ، ثم رفع عنه ، وإنّ العرق فى يده ما وضعه ، فقال : إنّه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن[1] قال السدى فى قوله تعالى : ﴿ **يا أيّها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾ قال : كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة ، فيعرضون للنساء . وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة . فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن ، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن . فإذا رأو المرأة عليها جلباب قالوا : هذه حرّة فكفوا عنها . وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها[2] .

لقد أشارت السّورةالكريمة من ذى قبل إلى الحجاب ، وكون النساء وهنّ فى بيوتهن التى أمرن بالقرار فيها ، إنما يسألهن الرّجال غير المحارم متاعا من وراء حجاب . وها هى ذى الآية الكريمة تشير إلى الحال التى تكون فيها المرأة المسلمة حينما تضطر للخروج من منزلها . قال تعالى : ﴿ **يا أيّها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعْرَفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما** ﴾.

ومن الواضح أن السياق يشير ابتداءً إلى عماد بيت النبوة ، أزواجه ﷺ أمّهات المؤمنين وبناته عليه الصلاة والسلام الطيبات الطاهرات رضوان الله تعالى عليهن أجمعين ، فإنهن حقا الأسوة الحسنة للمسلمات المؤمنات . وتقدّم الآية الكريمة فى الذّكر الأزواج على البنات ﴿ يا أيُّها النبى قل لأزواجك وبناتك ﴾ لأن الزّوجات أى الأمّهات ، هن الأصل ، وهن اللّاتى ولدن بناتهن . وحينما يستقيم الأصل ويصلح . يستقيم الفرع ويصلح . فنحن نفهم من تقديم الزّوجة فى الذكر ، إضافة إلى كونها الأصل ، عناية الإسلام الحنيف بالزوجة وضرورة كونها صالحة من الوجهة الدّينية ابتداءً ، والمعروف أنّ المصطفى ﷺ بيّن أنّ صلاح المرأة وتقواها ينبغى أن يكون أهم الأسباب الدّاعية لاتخاذها زوجة . ويظل الدّين الحنيف يتعهّد هذه المرأة الصالحة بالعناية والرّعاية . ومن مظاهر العناية هذه الآية الكريمة التى نحن بصددها ،

---

(١) صحيح البخارى ٦/١٥٠ ولباب النقول ص ١٧٩

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٥١٨

والتى تقدم الزوجة فى الذكر ، بل إنها لتُعنَى بالزوجة عناية كبرى . فبعد أن قدمت الآية الكريمة فى الذكر أزواج المصطفى ﷺ رضوان الله تعالى عليهن أجمعين ، تحولت إلى نساء المؤمنين .والمفروض فيهن فى مجموعهن أنهن زوجات صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . وإنّ حديث الآية الكريمة عن المرأة المسلمة عموما ، الزوجة خصوصا ، بدليل تقديم الآية الكريمة للزوجة فى الذكر ، لينبّه إلى الزاوية الغاية فى الأهمية بهذه المناسبة التى أولتها العناية الكافية التى تستحق . وتفسير ذلك هو أنّ الحديث عن جنس المرأة فى الآية الكريمة عموما ، إنّما هو خارج المنزل وقد اضطرت لمغادرته لأسباب من أهمها غياب الرّجل أو عجزه عن القيام بما اضطرت المرأة للقيام به . فما هو شعور الرّجل عموما ، الزوج خصوصا تجاه عرضه الذى اضطر إلى الخروج من المنزل أعنى أهله ، خاصة إذا كان خروج المرأة فى مجتمع يتضمن من مرضى القلوب مثلما تضمن المجتمع المدنى أثناء نزول الآية الكريمة ؟ إنّه شعور القلق . أو بتعبير أدق ، إنّه شعور الغيرة . ويلوح ، والله تعالى أعلم ، أنّ غيرة الرّجل على زوجه أكثر من غيرة أبيها وأخيها عليها . لماذا ؟ لأن ربّ العزة جعل الزوجة سكنا لزوجها كما هو سكن لها ومتعة له كما هو متعة لها . وحينما تضطر المرأة إلى الخروج ، يكون خروجها ، حتى فى حالة ارتدائها للزى الإسلامى ، مثار نوايا أو محاولات من بعض مرضى القلوب للتعرض لها ، فكيف بها حينما لا تكون مرتدية للزى الإسلامى . إنّ هذه التصورات مثيرة لغيرة الرّجل المسلم ، وبخاصة الزوج المهيأ أكثر من غيره لأن يكون أشد غيرة ، لأنّ طبيعة العلاقة بينه وبين زوجه تجعله أكثر إحساسا بمحاولة اعتداء الآخرين على حقّه الخاص ، وخدش عرضه ، والنيل من شرفه . إنّ هذه الآية الكريمة التى حرصت على سدّ باب الشر أساساً عن طريق صرف أسباب الإغراء والفتنة ، قد قدّمت فى الذكر الزوجة ، تنبيها إلى حقيقة شعور الزوج ، وإلى طبيعة الموقف المتعلق بضرب من ضروب الفتنة التى ينبغى أن تحاصر من كل جانب ، وإلى مسئولية الرّجل تجاه أهله ، وقد قال تعالى[1] : ﴿ **الرّجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ وإنّ هذا المظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم نتبينه هو ذاته فى سورة النور فى الآية

---

(١) سورة النساء ٣٤

الكريمة التى تحدّثت عن زينة المرأة التى تبديها لفئات معينة . أمّا أوّل هذه الفئات فهو الزوج . قال تعالى[1] : ﴿ ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن ﴾ أمّا حينما كان الحديث عن الحجاب ، وحينما أرادت سورة الأحزاب الكريمة أن تبين الفئات التى لا يحتجب عنها النّساء فقد كان الابتداء بطبيعة الحال بالآباء . فلا مكان للزوج هنا فى السياق ، لأنّ الزوج من المرأة هنا ، إذا كانت هى زوجه ، بمنزلة النصف الثانى . ومن حق هذا النصف أن يلتحم بالنصف الآخر ، وأن يفضى إليه ، وأن يصل منه إلى أعمق الأعماق . إنّه لا يمكن أن يسبق الأب فى مجال الحجاب أحد بعد أن تبين أنّ الزوج لا مكان له فى السياق لأنه لايسمى زوجا إلاّ وقد تخطى كل الحجب قال تعالى[2] : ﴿ لا جناح عليهن فى آبائهن ﴾.

إنّ ربّ العزّة يأمر نبيه الكريم فى طريقة الخطاب الخاصة به ﷺ : « يا أيها النبى » بأن يبلّغ عن ربه هذه التعاليم ، وأن يبدأ هو نفسه بتطبيقها فى أهل بيته . وهنا نتبين أننا أمام درس قرآنى عظيم ، هو الأسوة الحسنة أو القدوة . إن الآية الكريمة تقول لكل داع إلى الله تعالى : إنّك إذا أردت أن تنجح فى ميدان عملك عليك أن تكون أنت وأهل بيتك وأتباعك أسوة حسنة للمؤمنين والمؤمنات . إنّ أبلغ وسائل النجاح فى ميدان الدّعوة أن يتحقق فى الدّاعى هذا الشرط . بهذا انتشر الإسلام قديما . وبهذا ينتشر الإسلام بعون الله تعالى حديثا وفى كل وقت . وانظر إلى عناية الآية الكريمة بثمرة منهج التربية القرآنية وذلك بوصف المؤمنين بأهمّ صفاتهم فى القول : « ونساء المؤمنين » وهو معناه أنّ صفة الإيمان هى التى يفترض وجودها فى أزواج المؤمنين نقول هذا فى الوقت الذى نعرف فيه أن الإسلام قد أحل للمسلمين أن يتزوجوا ، إضافة إلى المحصنات من المؤمنات ، المحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلنا ، إذا آتيناهن أجورهن بالمعروف محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان[3] ومعروف أنّ الإسلام يحبذ أن تكون المرأة مسلمة مؤمنة . وقد نصت الآية الكريمة الخامسة والثلاثون من سورة الأحزاب الكريمة على الصفات التى يكمل بها كل من الرجل المسلم والمرأة المسلمة . وإنّ الزوجة حينما لا تكون أساساً مسلمة ، فما هو

---

(١) سورة النور ٣١

(٢) سورة الأحزاب ٥٥

(٣) انظر الآية الكريمة الخامسة من سورة المائدة والآيات الكريمات ٢٢ - ٢٥ من سورة النساء

حظها من هذه الصفات التى تبدأ أساسا بالإسلام وتعتمد عليه ؟ إنها لاحظّ لها أساساً . فاظفر بذات الدّين تربت يداك كما قال المصطفى ﷺ . قال تعالى : **﴿ يا أيّها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾** .

من للتبعيض وعليهن شامل لجميع أجسادهن أو عليهن على وجوههن لأن الذى كان يبدو منهن فى الجاهلية هو الوجه[1] .

ونحن من جانبنا نودّ أن نبذل جهدنا فى محاولة تبيين المراد بالجلباب فى الآية الكريمة معتمدين على القرآن الكريم وعلى استعمالات العرب لبعض أنواع الألبسة ، ونودّ على جهة الخصوص أن ننظر إلى ثلاثة ألفاظ تتعلق بالألبسة وهى الخمار والجلباب والرّداء . علماً بأن لفظة الخمار جاءت الإشارة إليها فى سورة النور . هذا إلى نوع من العلاقة بين هذه الأنواع الثلاثة من الألبسة أشار إليها العلماء فى سبيل تبيين المراد من كل لفظ من الألفاظ الثلاثة .

فلنبدأ بأوّل الألفاظ وهو الخمار ، لسبب سوف نتبينه . لقد جاءت الإشارة إلى الخمار كما قلنا فى سورة النور . قال تعالى[2] : **﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾** الآية .فما معنى الخمر ؟ الخمر بسكون الميم وضمها جمع خمار بكسر الخاء . يقول ابن منظور[3] :وقيل الخمار ما تغطى به المرأة رأسها ، وجمعه أخمرة وخمْر وخمُر (بضم الخاء فى الأخيرين) .. والخمرة (بكسر الخاء) من الخمار كاللحفة من اللحاف . يقال : إنّها لحسنة الخمرة . وفى المثل : إنّ العوان لا تعلم الخمرة ، أى أن المرأة المجربة لا تعلّم كيف تفعل . وتخمرت بالخمار واختمرت لبسته وخمرت به رأسها غطته . وفى حديث أم سلمة : أنّه كان يمسح على الخف والخمار ، أرادت بالخمار العمامة ، لأنّ الرّجل يغطى بها رأسه . كما أن المرأة تغطية بخمارها . وذلك إذا كان قد اعتمّ عِمّة العرب فأدارها تحت الحنك ، فلا يستطيع نزعها فى كل وقت ، فتصير كالخفين ، غير أنّه يحتاج إلى مسح القليل من الرّأس ثم

---

(١) البحر المحيط ٧/٢٥٠

(٢) سورة النور ٣١

(٣) لسان العرب « خمر »

يمسح على العمامة بدل الاستيعاب»ومن الواضح البيّن أنّ الخمار من المرأة بمنزلة العمامة من الرّجل . فالمطلوب من المرأة أساساً أن تغطى رأسها ، أى شعر رأسها ، ولكن الملاحظ أن الآية الكريمة لا تربط بين الخمار وبين الرّأس ، إنما بين الخمار أو الخمر وبين الجيب أو الجيوب . فما معنى الجيوب وما علاقة الخمر بالجيوب ؟

الجيوب جمع جيب[1] وإذا كان الجيب يطلق فى عصرنا هذا على الكيس الذى يخاط فى الثوب ويجعل فمه من الخارج من أجل وضع الحاجيات فيه من أقلام ونقود ومحافظ وما إلى ذلك ، فإنّ هذا معنى متأخر للجيب ، اكتسبه اللفظ بمرور الأيام بسبب الجوار بين الجيب بمعناه الحالى والجيب بمعناه القديم ، بمعنى الطوق من القميص أو الثوب ، هذا إلى اشتراكاهما فى عملية الجوب بمعنى القطع . ففى القاموس[1] جبت القميص أجوبه وأجيبه وجَوَّبْتُه عملت له جيبا»والجيب بمعناه القديم بمعنى الطوق من القميص أو الثوب . إنّ هذا المعنى القديم والأصلى للجيب هو عبارة عن الفتحة فى الثوب التى يدخل منها الإنسان رأسه . وبما أنّ المرء ، بعد أن يدخل رأسه فى الثوب أو القميص ، وبعد أن يحيط الجيب بالعنق ، بحاجة إلى أن يغلق من هذه الفتحة كل ما فاض عن حاجة الرّقبة ، وبما أن عدم القيام بهذه العملية معناه أنّ جزءا من الصدر أو أجزاء منه يمكن أن تظهر ، وذلك فى حق المرأة من مظاهر تبرّج الجاهلية ، فقد نصّت الآية الكريمة من سورة النور على وجوب ضرب المرأة المسلمة خمارها على جيبها . بمعنى أنّ عليها وقد غطت بالخمار رأسها أن تغطى ببقيته رقبتها وصدرها وكل ما يمكن ظهوره بسبب فتحة الجيب هذه . وقد ذكر القرطبى فى تفسيره[2] سبب نزول آية النور يقول : « إنّ النّساء كن فى ذلك الزمان إذا غطين رءوسهن بالأخمرة وهى المقانع سدلنها من وراء الظهر . قال النقاش كما يصنع النبط ،فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك . فأمر الله تعالى بلىّ الخمار على الجيوب . وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها » وجاء فيه[3] : « فى هذه الآية دليل على أن الجيب إنما يكون فى الثوب موضع

---

(١) القاموس « جوب » ويقول القرطبى فى تفسيره ص ٤٦٢٢ : « والجيوب جمع الجيب وهو موضع القطع من الدّرع والقميص وهو من الجوب وهو القطع » .

(٢) ص ٤٦٢٢

(٣) ص ٤٦٢٣

الصدر وكذلك كانت الجيوب فى ثياب السلف رضوان الله عليهم ، على ما يصنعه النساء عندنا بالأندلس وأهل الديار المصرية من الرجال والصبيان وغيرهم » .

ولا ننسى أن المفروض فى المرأة المسلمة أن يكون ما تلبس من ملابس لا يشفّ عن شيء من أجزاء جسدها . وإليك ما جاء فى تفسير القرطبى فى هذا الشأن[1] : « أمر الله سبحانه جميع النساء بالسّتر ، وأنّ ذلك لا يكون إلاّ بما لا يصف جلدها . إلاّ إذا كانت مع زوجها فلها أن تلبس ما شاءت ، لأنّ له أن يستمتع بها كيف شاء . ثبت أن النبى ﷺ استيقظ ليلة فقال : سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن . وماذا فتح من الخزائن . من يوقظ صواحب الحُجَر . ربّ كاسية فى الدّنيا عارية فى الآخرة . وروى أن دحية الكلبى لما رجع من عند هرقل فأعطاه النبى ﷺ قُبطية فقال : اجعل صديعاً لك قميصا وأعط صاحبتك صديعا تختمر به . والصديع النصف . ثم قال له : مرها تجعل تحتها شيئاً لئلا يصف . وذكر أبو هريرة رقة الثياب للنساء فقال : الكاسيات العاريات الناعمات الشقيات .. وثبت عن النبى ﷺ أنه قال : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها . وقال عمر رضى الله عنه : ما يمنع المرأة المسلمة إذا كانت لها حاجة أن تخرج فى أطمارها[2] وأطمار جارتها مستخفية ، لا يعلم بها أحد حتى ترجع إلى بيتها » .

فلنتحوّل إلى اللفظة الثانية . فما معنى الجلابيب ؟ الجلابيب واحدها الجلباب بكسر الجيم وسكون اللام كسرداب والجلباب بكسر الجيم واللام وتشديد الباء كسنمار القميص . وثوب واسع للمرأة دون الملحفة . أو ما تغطى به ثيابها من فوق كالملحفة . أو هو الخمار[3] ويقول أبو حيّان[4] : « والجلابيب الأردية التى تستر من فوق إلى أسفل . وقال ابن جبير : المقانع . وقيل : الملاحف . وقيل : الجلباب كلّ ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها . وقيل : كل ما تستتر به من كساء أو غيره . قال أبو زيد

---

(١) ص ٥٣٢٥ ، ٥٣٢٦

(٢) الأطمار جمع الطمر بكسر الطاء وسكون الميم وهو الثوب الخلق .

(٣) القاموس « جلبب »

(٤) البحر المحيط ٢٥٠/٧

تجلببت من سواد الليل جلبابا

وقيل : الجلباب أكبر من الخمار ويقول الزمخشرى[1] : « الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ، ودون الرّداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : الرّداء الذى يستر من فوق إلى أسفل وقيل : الملحفة وكل مايتستر به من كساء أو غيره . قال أبو زيد .

مجلبب من سواد الليل جلبابا

ومعنى : يدنين عليهن من جلاليبهن ، يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن . يقال إذا زلّ الثوب عن وجه المرأة : أدنى ثوبك على وجهك »وهذا ما يقوله صاحب لسان العرب فى الجلباب[2] : « والجلباب القميص . والجلباب ثوب أوسع من الخمار دون الرّداء تغطى به المرأة رأسها وصدرها . وقيل هو ثوب واسع دون الملحفة تلبسه . وقيل هو الملحفة .. وقيل هو ما تغطى به المرأة الثياب من فوق كالملحفة . وقيل هو الخمار وفى حديث أم عطية : لتلبسها صاحبتها من جلبابها أى إزارها .. وقيل : جلباب المرأة ملاءتها التى تشتمل بها واحدها جلباب والجماعة جلابيب وقد تجلببت » .

لقد ذكرنا هذه النصوص المتعددة المتضمنة لمعان متعددة لمعنى لفظة جلباب ، كى يتبين بعض الأسباب التى أدّت إلى اختلاف الفقهاء وتباين الآراء فى المسألة الواحدة . فإذا أضيف إلى ذلك أن الآية الكريمة قد اكتفت بالإشارة إلى إدناء المرأة جلبابها ، دون أن تعين العضو أو الجزء من الجسم الذى يدنى عليه الجلباب ، استطعنا أن نبين مظهراً من مظاهر رحمة البر الرحيم بعباده ، وحكمته جل وعلا . فقد كان ثمة مجال لاختلاف وجهات نظر العلماء فى هذه المسألة . تلك الوجهات التى يمكن أن يراعى فيها الظروف والملابسات المختلفة .

وبمقارنة ما قال العلماء عن الخمار بما قالوه عن الجلباب يتبين أن تباين الآراء بشأن الجلباب أكبر من تباينها بشأن الخمار . فمن معانى الجلباب الخمار والقميص وثوب المرأة الواسع دون الملحفة . أو ما تغطى به ثيابها من فوق كالملحفة . والرّداء الذى يستر من فوق إلى أسفل وقيل : الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون

---

(١) الكشاف ٢/٥٤٩

(٢) « جلب »

الرّداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها ، فهو بذلك خمار مكبر والمقنع أو المقنعة بكسر الميم فيهما ، وهو ما تغطى المرأة رأسها به وهو أصغر من القناع والملحفة وجمعها ملاحف وهى كل ما يلتحف به أى يتغطى واللباس فوق ماسواه .

على أن الآراء فى مجموعها تذهب إلى كون الجلباب غير الخمار وأكبر منه ، وأنّه أقرب إلى الثوب منه إلى أى شيء آخر . يقول القرطبى[1] : « والصحيح أنّه الثوب الذى يستر جميع البدن . وفى صحيح مسلم عن أم عطية قلت : يا رسول الله : إحدانا لا يكون لها جلباب . قال : لتلبسْها أختها من جلبابها »والذى يؤيد هذا الرأى هذا الشطر من الشعر الذى تردد فى الكثير من المصادر :

تجلببت من سواد الليل جلبابا

فبما أن السواد يغطى جل الإنسان إن لم يكن كله ، فكذلك يظن الجلباب . « عن أمّ سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية يدنين عليهن من جلابيبهن خرج نساء الأنصار كأنّ على رءوسهن الغربان من السكينة ، وعليهن أكسية سود يلبسنها »[2] .

فإذا تحوّلنا إلى اللفظة الثالثة الرّداء استطعنا أن نفهم أنّه يميل إلى الكبر ، يقول ابن منظور فى اللسان[3] : « الرّداء الذى يلبس ... والرّداء من الملاحف .. وقد تردّى به وارتدى بمعنى ، أى لبس الرّداء .. وإنّه لحسن الرِّدية أى الارتداء .. والرّداء الغطاء الكبير .. وفى الحديث : نعم الرّداء القوس ، لأنها تحمل موضع الرّداء من العاتق » على أنّ من العلماء من ذهب إلى كون الرّداء هو الجلباب . يقول ابن كثير[4] : « والجلباب هو الرداء فوق الخمار ، قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصرى وسعيد بن جبير وإبراهيم النَّخَعى وعطاء الخراسانى وغير واحد . وهو بمنزلة الإزار اليوم . قال الجوهرى : الجلباب الملحفة . قالت امرأة من هذيل ترثى قتيلا لها :

---

(١) تفسير القرطبى ص ٥٣٢٥

(٢) تفسير ابن كثير ٥١٨/٣

(٣) « ردى »

(٤) تفسير ابن كثير ٥١٨/٣

تمشى النسور إليه وهى لاهية مشى العذارى عليهن الجلابيب »

وبهذا يتبين أننا بصدد ثلاثة أنواع من الألبسة تختلف أحجامها . فأصغرها الخمار الذى ينزل من رأس المرأة منزلة العمامة من رأس الرجل . وأوسطها الجلباب ، وهو عبارة عن الثوب الذى يستر جميع البدن . وأكبرها الرّداء وهو عبارة عن الغطاء الكبير أو أننا بصدد نوعين من اللباس هما الخمار وله معناه المعروف والجلباب والرّداء وهما بمعنى . والحقيقة أنّا نميل إلى الرّأى الأوّل .

أما وقد عرفنا أنّ المطلوب من المرأة المسلمة ألاّ تضع خمارها الذى يغطى رأسها ورقبتها وجيب قميصها وعطفيها[1] فهل فى الإمكان أن نفهم من إدناء الجلابيب إرسال الثياب التى تستر جميع البدن ؟ ربما . لننظر إلى ما فهمه بعض العلماء من قوله تعالى : «**يدنين عليهن من جلابيبهن** » .

١ – قال على بن طلحة عن ابن عباس : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ، ويبدين عينا واحدة . وقال محمد بن سيرين : سألت عبيدة السلمانى عن قول الله عز وجل : يدنين عليهن من جلابيبهن ، فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى[2] يقول الطبرى[3] : « حدّثنى يعقوب قال : ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد عن عبيدة فى قوله : يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، فلبسها عندنا ابن عون . قال : ولبسها عندنا محمد . قال محمّد : ولبسها عندى عبيدة . قال[4] ابن عون بردائه فتقنع به فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب» يقول أبو حيّان[5] وكذا عادة بلاد الأندلس . لا يظهر من المرأة إلاّ عينها الواحدة وإدناء الجلباب أن تقنع وتشدّ على جبينها .. قتادة : أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنّعن على الحواجب[6] ويقول أبو حيّان[7] : « كان دأب الجاهلية أن تخرج الحرّة

---

(١) العطفان الجانبان والعطف بكسر العين الجانب .

(٢) تفسير ابن كثير ٥١٨/٣ وانظر تفسير الطبرى ٣٣/٢٢ وتفسير القرطبى ٤٣٢٥

(٣) تفسير الطبرى ٣٣/٢٢

(٤) قال بثوبه بمعنى رفعه والمعنى هنا أنه رفع رداءه وعبر به عملا ، بدلاً من القول المطلق .

(٥) البحر المحيط ٢٥٠/٧

(٦) تفسير الطبرى ٣٣/٢٢ وانظر البحر المحيط ٢٥٠/٧

(٧) البحر المحيط ٢٥٠/٧

والأَمَة مكشوفتى الوجه فى درع وخمار . وكان الزّناة يتعرضون إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن فى النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها أمة . فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زى الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرّءوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن » وقال ابن عباس وقتادة : وذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه . والظاهر أنّ قوله : ونساء المؤمنين يشمل الحرائر والإماء[1] « وقال أبو عبيدة السلمانى حين سئل عن ذلك فقال : أن نضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها »[2] .

٢ – قال عكرمة : تغطى ثغرة[3] نحرها بجلبابها تدنيه عليها[4] والملاحظ أن هذه المهمة يقوم بها الخمار أساساً كما عرفنا .

٣ – قال الكسائى : يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن . أراد بالانضمام معنى الإدناء[5] .

٤ – قال الحسن : تغطى نصف وجهها[6] .

وهكذا يتبين أنّ العلماء قد فهموا من إدناء الجلابيب ستر كل الجسم بالثياب ومن هؤلاء العلماء من أدخل الوجه فى وجوب الستر فلم يسمح بظهور غير العينين أو عين واحدة .

وقد بينت الآية الكريمة الحكمة من ذلك الإدناء : ﴿ ذلك أدنى أن يُعْرَفْن فلا يؤذين ﴾ وقد عرفنا أن بعض مرضى القلوب والنفوس يتعرضون ليلا لنساء المدينة المنورة ، الإماء بخاصة ، وربما آذوا الحرة بحجة الظن بأنها أمة . وإنّ الآية الكريمة لتأمر المسلمات أن يتسترن ويحتشمن وبذلك لا يتعرض لهن أحد من مريضى القلوب

---

(١) البحر المحيط ٧/٢٥٠ وتفسير القرطبى ص ٥٣٢٥

(٢) البحر المحيط ٧/٢٥٠

(٣) الثغرة بضم الثاء نقرة النحر بين الترقوتين والترقوة العظم الذى فى أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق .

(٤) تفسير ابن كثير ٣/٥١٨

(٥) البحر المحيط ٧/٢٥٠

(٦) تفسير القرطبى ص ٥٣٢٥

بريبة . وإنما كان الأمر بأن تتميز المرأة الحرة المسلمة بزيها عن الأمة ، لأن الوقت آنذاك كان غير بعيد عن الجاهلية التى كانت الأمة فيها رخيصة،وبتحوّل كل سكان المدينة المنورة مسلمين لله ربّ العالمين ، يشمل هذا الأمر كل النساء المؤمنات ، فى كل زمان ومكان . يقول أبو حيّان[1] : « والظاهر أنّ قوله : ونساء المؤمنين يشمل الحرائر والإماء » ولا ننسى أنّ الإسلام قد نجح فى القضاء ظاهرا وباطنا ، على الرّق بالكلية وفق منهجه التربوى الحكيم .

وتختم الآية الكريمة بالقول : ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ وفيه تأنيس للنساء فى ترك الجلابيب قبل هذا الأمر المشروع[2] ويقول الطبرى[3] : « وكان الله غفورا لما سلف منهن من تركهن إدْناءهن الجلابيب عليهن ، رحيما بهن أن يعاقبهن بعد توبتهن بإدناء الجلابيب عليهن » .

ونودّ بشأن نظم الآية الكريمة أن نشير إلى أمرين : أحدهما التشابه فى الصياغة بين القول هنا : ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين،وبين القول عن نساء المصطفى ﷺ من قبل الآية الكريمة الحادية والخمسين : ﴿ ذلك أدنى أن تقرأعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ﴾ وثانيهما الإشارة إلى الأذى الذى يراد له أن يطرد . والمعروف أنّ هذا الجزء من السورة الكريمة يكثر فيه الإشارة إلى هذا النوع من السّوء . وإنّ كلاً من الأمرين دليل على الرباط الذى يربط بين أجزاء السورة الكريمة وأقسامها عن طريق التشابه فى كل من الصياغة وألفاظ المعجم المستعمل . قال تعالى : ﴿ **يا أيّها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعْرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما** ﴾.

إنّ منهج التربية القرآنية ليرسم فيما سبق من آيات كريمات المنهج الذى ينبغى للمرأة المسلمة لله ربّ العالمين أن تسلكه فى منزلها وخارج منزلها حينما تضطر إلى الخروج منه . كل ذلك بقصد منع وقوع الفاحشة أو شيوعها . وبما أن هذه القضية يشترك فيها كل من الرجل والمرأة على حدّ سواء ، وأن المنهج القرآنى هو الذى يتمنى

---

(١) البحر المحيط ٢٥٠/٧

(٢) تفسير القرطبى ٥٣٢٦ والبحر المحيط ٢٥٠/٧ وتفسير ابن كثير ٥١٩/٣

(٣) تفسير الطبرى ٣٤/٢٢

تطبيقه كل مسلم غيور ، يعتبر كل مسلمة لله رب العالمين ، أمّاً له أو بنتاً أو أختا . وبما أنّ ثمة فريقا من الناس مرضى القلوب والنفوس لا يجدى معهم إلاّ التهديد والوعيد أو العقاب الشديد ، باعتبار التربية بالزجر والعقاب من الوسائل التى لا يجدى سواها مع فريق من الناس، فإنّ السياق مالبث أن تحوّل إلى هذه الفئة وما شاكلها من الفئات الخائنة لعرض الأمّة وشرفها وعزّتها ، وكان ذلك فى ثلاث آيات كريمات قال تعالى : « **لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثمّ لا يجاورونك فيها إلاّ قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** » .

نمع الآية الكريمة الأولى . قال تعالى :﴿ **لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثمّ لا يجاورونك فيها إلاّ قليلا** ﴾. إنّ القول لنغرينك بمعنى لنسلطنك عليهم[1] وقد جاء فى تسليط الله تعالى رسوله ﷺ على يهود بنى النضير قوله تعالى فى سورة الحشر[2] أو سورة بنى النضير :﴿ **وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء . والله على كل شىء قدير** ﴾.

وقد وفّق أبو حيّان فى البحر المحيط فى تبيين العلاقة بين هذه الآية الكريمة وبين ما سبقها من آيات . يقول رحمه الله تعالى[3] : « ولما ذكر حال المشرك الذى يؤذى الله ورسوله ويظهر الحق ويضمر النفاق . ولما كان المؤذون ثلاثة ، باعتبار إذايتهم لله ولرسوله وللمؤمنين ، كان المشركون ثلاثة . منافق ومن فى قلبه مرض ومرجف . فالمنافق يؤذى سرا . والثانى يؤذى المؤمن باتباع نسائه . والثالث يرجف بالرّسول يقول غلب ، سيخرج من المدينة ، سيؤخذ ، هزمت سراياه » .

وإنّ السؤال الذى يطرح هنا هو : هل الآية الكريمة تتحدّث عن فئة واحدة من البشر تتحقق فيها هذه الصفات ، أم أنها تتحدّث عن ثلاث فئات ، لكل فئة صفة خاصة بها ؟ يقول القرطبى فى هذا الشأن[4] : « أهل التفسير على أن الأوصاف

---

(١) تفسير ابن كثير ٥١٩/٣ وتفسير الطبرى ٣٤/٢٢

(٢) الآية ٦

(٣) البحر المحيط ٢٥٠/٧

(٤) تفسير القرطبى ٥٣٢٧

الثلاثة لشيء واحد ، كما روى سفيان بن سعيد عن منصور عن أبى رزين قال : المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة . قال : هم شيء واحد . يعنى أنهم قد جمعوا هذه الأشياء .. وقيل : كان منهم قوم يرجفون ، وقوم يتبعون النساء للرّيبة ، وقوم يشككون المسلمين » ويقول أبو حيّان[1] : « وظاهر العطف التغاير بالشخص فيكون المعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم . والفَسَقة عن فجورهم . والمرجفون عما يقولون من أخبار السوء يشيعونه . ويجوز أن يكون التغاير بالوصف ، فيكون واحداً بالشخص ثلاثة بالوصف كما جاء . إن المسلمين والمسلمات فذكر أوصافا عشرة والموصوف بها واحد . ونص على هذين الوصفين من المنافقين لشدة ضررهما على المؤمنين » .

وهذا معناه أن ثمة رأيين للعلماء تجاه هذه المسألة . فمنهم من ذهب إلى أنّ هذه الصفات الثلاث لفئة واحدة بعينها . ومنهم من ذهب إلى أنّ هذه الصفات لثلاث فئات . ونحن نرى أن كلا من الرّأيين يَصِحّ قبوله . فمن ذهب إلى اتحاد الفئة عنى أن هذه الفئة الواحدة من المنافقين فيها هذه الصفات السيئة الثلاث،ومن ذهب إلى التعدد عنى أن هذه الصفات السيئة الثلاث يتحقق كل فى إحدى الفئات،وبناءً على ذلك لا مانع من قبول أى من الرأيين،ونحن من جانبنا نميل إلى كون هذه الصفات تتوزع أساساً على ثلاث فئات من المنافقين . فنحن من الذين يذهبون إلى التعدد . ولا ينفى ذلك مطلقا كون هذه الصفات السيئة من الجائز أن تتحقق كلها فى إحدى هذ الفئات الثلاث فتكون منافقة وفى قلوبها مرض ومرجفة فى المدينة . وإنما نذهب إلى تعدد الفئات أصلا ، بناءً على تعدّد الصفات ، من باب القياس على تعدّد الفئات وتنوعها فى ثلاث بشأن إذاية الله تعالى وإذاية المصطفى ﷺ وإذاية المؤمنين والمؤمنات . إنّ الذين يؤذون الله تعالى فئة والذين يؤذون رسول الله ﷺ فئة . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات فئة . ولا يمنع مطلقا من تحقق هذه الصفات الثلاث أو اثنتين منها فى فئة بعينها . ولكن الأصل هو التعدّد .

وحينما نتبين أبعاد كل من الصفات الثلاث فى الآية الكريمة ، ونحاول أن نربط بينها وبين ما جاء فى السورة الكريمة من أحاديث مشابهة أو مقاربة ، ستتبين ، بإذن الله

---

(١) البحر المحيط ٧/٢٥٠

تعالى ، الأسباب التى تجعلنا نرجح كون الآية الكريمة التى تقرّر ثلاث صفات ، إنّما تعنى ثلاثة أصناف من أصناف المنافقين الذين ذهب واحد من العلماء هو ابن زيد إلى كون سورة براءة قد تحدّثت عن عشرة من أصنافهم[1] .

إنّ الصفة الأولى المرغوب عنها فى الآية الكريمة والمطلوب من أصحابها المنافقين أن يتخلوا عنها هى صفة النفاق . قال تعالى : ﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾ لقد تحدّث القرطبى عن هذه اللام وعن اللام فى القول : « لنغرينك بهم » قائلا[2] : « ولام لنغريك لام القسم . واليمين واقعة عليها ، وأدخلت اللام فى إنْ توطئة لها»إنّ ربّ العزّة ليقسم بعزّته وجلاله بأنّ أصحاب هذه الصفات الثلاث من صفات النفاق الأشد إيذاءً من سواها للمؤمنين بقيادة المصطفى ﷺ . إن لم ينتهوا فإنّه سيسلط حبيبه المصطفى ﷺ عليهم . وبشأن أولى هذه الصفات الثلاث وهى صفة النفاق ، نحن نجد أنفسنا بحاجة إلى أن نعود إلى حديث السورة الكريمة عن غزوة الخندق وحديثها عن المنافقين ، وعلى جهة الخصوص وصف المنافقين بالنفاق ، وبكونهم فى قلوبهم مرض . وقد نصّ السياق صراحة على هاتين الصفتين وعلى كونهم مرجفين . ومن اللطيف أنّ إحدى الآيات الكريمة التى تحدّثت عن إرجاف المنافقين فى غزوة الأحزاب قد استعملت على ألسنة المنافقين لفظة « يثرب » وهو اسم للمدينة المنوّرة غير مرغوب فيه من النبى ﷺ . ولكن المنافقين حريصون على استعماله ، إمعانا فى الكيد والعدواة للإسلام والمسلمين . بنما تستعمل الآية الكريمة التى نحن بصددها لفظة « المدينة » الحبيب إلى المصطفى ﷺ وإلى كل مسلم لله ربّ العالمين . وقد عرفنا أنّه يعنى مدينة الرّسول ﷺ وقد حلّت أداة التعريف « ال » محل التعريف بالإضافة . فاكتفى بالقول « المدينة » ووصفها المسلمون بعد ذلك بالمنورة قائلين «المدينة المنورة » لنتدبر هذه الآيات الكريمات التى سبق أن تبينا بشأنها أنّها تتحدّث عن فئات من المنافقين . قال تعالى[3] : ﴿ **وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى** ﴾

---

(١) تفسير الطبرى ٣٤/٢٢

(٢) تفسير القرطبى ٥٣٢٩

(٣) سورة الأحزاب ١٢ - ١٧

بعورة إن يريدون إلاّ فرارا . ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلاّ يسيرا . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا . قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلاّ قليلا . قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة.ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيراً ﴾.

ومن الواضح أنّ أسوأ المرجفين حالاً يصحّ أن يتحقق فيهم كل الصفات السيئة السابقة ، كما أنّه يصحّ أن يتحقق فى إحدى الفئات صفة واحدة أو أكثر من صفة .

ونستطيع أن نتبين من القول : ﴿ **وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا** ﴾ أنّ ثمة تقاربا بين هاتين الفئتين من المنافقين فى الصفة السيئة هذه حتى إنّ الآية الكريمة لتجعل القول الذى تفوّهما به قولا واحدا ، رغم جمع الفريق الثانى إلى النفاق مرض القلب . فإذا تحوّلنا إلى الآية الكريمة التى نحن بصددها : ﴿ **لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة** ﴾ استطعنا أن نتبين أمرين اثنين . الأمر الأوّل هو ذكر الآية الكريمة لثلاث فئات رئيسية من المنافقين ، أسوة بالآيات الكريمة السابقة ، التى تحدّثت عن غزوة الأحزاب ، والتى نصّت على المنافقين ومرضى القلوب وأشارت بوضوح هو التصريح عينه إلى المرجفين . والأمر الثانى هو أن الآية الكريمة السابقة الثانية عشرة إذا كانت قد جمعت بين المنافقين ومرضى القلوب فى نَسَق ، فإنّ الآية الكريمة التى نحن بصددها جعلت كلاً من هذه الفئات فئة قائمة بذاتها . فثمة فئة المنافقين . وفئة الذين فى قلوبهم مرض . وفئة المرجفين . وفى أبسط الصور ، هى أشارت إلى ثلاث صفات مختلفة ، قد تكون موزعة على الفئات الثلاث أو مجتمعة فى فئة ، وهى صفات النفاق ومرض القلب والإرجاف . فما الذى يمكن أن يفهم من الجمع فى الآية الكريمة بين هذه الصفات الثلاث أو الفئات على قدم المساواة فى السّوء ، فى ضوء جمع الآية الكريمة السابقة الثانية عشرة بين المنافقين ومرضى القلوب ، بحيث ظهروا وكأن الفرق بينهما ليس ذا بال بدليل أنّ الآية الكريمة جعلت القول الصادر عنهما واحدا ؟

وهنا نحن بحاجة إلى أن نتبين أنّ الآية الكريمة السابقة الثانية عشرة قد جاءت فى صدر السورة الكريمة تقريبا أثناء الحديث عن غزوة الخندق ، وبعد الحديث إجمالا عن المؤمنين والمنافقين والكافرين . ولمّا تتحدّث بعد بالتفصيل عن البيت المثالى للإيمان ، الممثّل فى بيت المصطفى ﷺ ، ثم فى بيوت المؤمنين . ولمّا تتحدّث بعد عن المجتمع المدنى وعن المنافقين بالذات ، من جهة جديدة لم تعرض لها السورة الكريمة ابتداء إلاّ فى الآية الكريمة الثانية والثلاثين حينما نصّت على طمع مرضى القلوب . وفهم من السياق ، كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء بكونه شهوة الزّنا . قال تعالى : ﴿ **يا نساء النبى لستن كأحد من النّساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا** ﴾ .

إن الإشارة إلى مرضى القلوب فى هذه الآية الكريمة ، أضاف إلى معنى القول فى الآية الثانية عشرة : « والذين فى قلوبهم مرض » معنى جديدا ، هو كون هؤلاء المنافقين قد جمعوا إلى النفاق شهوة الزنا . وهذا الجديد الذى أضافته الآية الكريمة الثانية والثلاثون ، كان بمثابة التوطئة لحديث السورة الكريمة . بل إفاضتها الحديث من المجتمع المدنى من هذه الزاوية ، وضرورة تنقية ذلك المجتمع المدنى المثالى من هذه الصفة ، فاقتلاع أصحابها من جذورهم . وها نحن أولاء فى الآية الكريمة التى نحن بصددها نجد أنفسنا أمام هذه الفئات الثلاث من المنافقين ، أو الصفات الثلاث الرّئيسية للمنافقين . النفاق . مرض القلب . الإرجاف . قال تعالى : ﴿ **لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثمّ لا يجاورونك فيها إلا قليلا** ﴾ .

وسبق لنا أثناء تأملنا للآيتين الكريمتين الثانية عشرة والثانية والثلاثين أن وقفنا عند كل من صفتى النفاق ومرض القلب . ونودّ أن نسجل هنا ما أضافه العلماء الأفاضل بشأن مرض القلب إضافة إلى النفاق[1] : قال عكرمة وقتادة : وغيرهما : هم الزناة ها هنا[2] والمنافقون أصناف عشرة فى براءة . قال : فالذين فى قلوبهم مرض

---

(١) انظر هنا البحر المحيط ٢٥١/٧ فالسدى يرى أن مرض القلب هو النفاق وانظر الكشاف ٥٥٠/٢

(٢) تفسير ابن كثير ٥١٩/٣ وتفسير الطبرى ٣٤/٢٢ وقد نص الأخير على قتادة كذلك . والبحر المحيط ٢٥١/٧ وتفسير القرطبى ص ٥٣٢٧ وأضاف إلى عكرمة شهر بن حوشب .

صنف . منهم مرض من أمر النساء[1] يقول أبو حيّان[2] : « قال عكرمة : الذين فى قلوبهم مرض هو الغزل وحب الزنا ومنه : فيطمع الذى فى قلبه مرض » ويقول الزمخشرى[3] : « الذين فى قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه . وقيل هم الزّناة وأهل الفجور من قوله تعالى : « فيطمع الذى فى قلبه مرض » .

فما معنى الإرجاف ؟ يقال : « أرجف بكذا إذا أخبر عنه على غير حقيقتة لكونه خبرا متزلزلاً غير ثابت من الرّجفة وهى الزلزلة[4] » وقال ابن عباس : الإرجاف التماس الفتنة . والإجارف إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به . وقيل تحريك القلوب . يقال رجفت الأرض أى تحرّكت وتزلزلت ترجف رجفا . والرجفان الاضطراب الشديد .. والإرجاف واحد أراجيف الأخبار . وقد أرجفوا فى الشىء أى خاضوا فيه .. فالإرجاف حرام لأنّ فيه إذاية . فدلت الآية على تحريم الإيذاء بالإرجاف »[5] وقال قتادة : الذين يؤذون قلوب المؤمنين بإيهام القتل والهزيمة[6] عن قتادة .. الإرجاف الكذب الذى كان نافقه أهل النفاق وكانوا يقولون : أتاكم عدد وعدة[7] .

إنّا بتدبرنا لهذه المعانى التى نص عليها جمهور العلماء بشأن النفاق ومرض القلب والإرجاف ، نتبين أنها هى الأدواء الثلاثة الكبرى التى عانى منها المسلمون المؤمنون المتقون المجاهدون فى سبيل الله تعالى ، بقيادة المصطفى ﷺ ، فى تلك الظروف العصيبة . فالسورة الكريمة أشارت إلى المنافقين وإيذائهم للمسلمين فى أوقات الحرب والسلم على السواء . ومن أهمّ ما يعرفون به وقت السلم مرض القلب . ومن أهم ما يعرفون به وقت الحرب إشاعة الأراجيف . وقد لاحظنا أنّ السورة الكريمة تبدأ بأمر المصطفى ﷺ بأن يدوم على تقوى الله تعالى ، ثم تنهاه عليه الصلاة والسلام عن طاعة الكافرين والمنافقين ، ويتكرر هذه النهى ذاته فى الآية الكريمة الثامنة والأربعين . وتستمر السورة فى حديثها عن المنافقين من زاوية قمة الإفساد فى الحرب والسلم على

---

(١) تفسير الطبرى ٣٤/٢٢
(٢) البحر المحيط ٢٥١/٧
(٣) الكشاف ٥٥٠/٢
(٤) الكشاف ٥٥٠/٢
(٥) تفسير القرطبى ص ٥٣٢٨
(٦) البحر المحيط ٢٥١/٧
(٧) تفسير الطبرى ٣٤/٢٢